النبي ﷺ فسألوا عن عبادته في بيته فلما أخبروا بها كأنهم تقالُّوها، فعزم كل منهم أن ينقطع عن شيء من المباح، بقصد المبالغة في العبادة فنهاهم ﷺ عن ذلك وأرشدهم بأن الميل عن الاعتدال والخروج عن التوسط والرغبة في الإفراط والتنطع هي رغبة عن سنته فقال: «..من رغب عن سنتي فليس مني»[1]، هكذا قولاً واحداً، وبمثل هذا كان يحسم النبي ﷺ أي بادرة في هذه الناحية وأقواله الحاسمة الجازمة في الحفاظ على ثوابت الدين ومعالمه كثيرة ومعلومة، وبهذه اليقظة والحرص والنصح ترك النبي ﷺ لأمته، الدين كاملاً غضاً طرياً، قوي الحجة واضح المحجة، لا يختلف ليله عن نهاره، وقد جسد لهم أن الطريق واحد، وهو الوسط المستقيم، وأن الخطوط والطرق عن يمينه وشماله كلها زيغ وضلال مهما تزينت، أو ظهر من أصحابها ودعاتها من مبالغة في العبادة والتنسك، فها هو عبد الله بن مسعود يروي عنه قائلاً: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها»[2]، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[3].

وبعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى قام على حراسة هذا الباب أصحابه رضوان الله عليهم فساروا على ذات المنهج الذي رسمه لهم المصطفى ﷺ ومضوا على نفس الطريق الذي تركهم عليه، فوقفوا بالمرصاد لكل بدعة تخالف سنة النبي ﷺ وتصدوا بالإنكار لكل مخالفة فور ظهورها.

فها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إذ بلغه من أحد عماله عن ظهور الذكر الجماعي والدعاء الجماعي، وذلك أن قوماً يجتمعون فيدعون للمسلمين

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح برقم ٥٠٦٣، البخاري مع الفتح ٩/٥.

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي ١/٧٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

وللأمير فطلب إحضارهم إليه وعلا أميرهم بالسوط[1].

وهذه هي الطريقة العمرية في إقامة من لا يسعه الواسع أو يتعامى عن النور الساطع، ومن لا يكفيه العلم والعمل مع توافره بين ظهراني المسلمين فالدرة تزيل عنه ما به من عمش أو رمد، ومن هذا الأثر يتضح أن بدعة التسبيح والدعاء الجماعي ظهرت مبكرة إلا أنها لم تستمر لنكير الصحابة لها، فها هو عبد الله بن مسعود وهو بالكوفة يسمع بأن هناك أناسٌ يؤدون التسبيح جماعة، وبنوا مسجداً لذلك، فيأمر ابن مسعود بهدمه فهدم، فاجتمعوا في ناحية من مسجد الكوفة يسبحون ويهللون ويكبرون، فأنكر عليهم ابن مسعود قائلاً لهم: (لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علماً أو جئتم ببدعة ظلماً، ثم قال رجل: ما فضلنا ولكنا قوم نذكر ربنا، قال: بلى فضلتم، والذي نفس ابن مسعود بيده لئن أخذتم آثار القوم ليسبقنكم سبقاً بعيداً، ولئن حرتم يميناً وشمالاً لتضلنَّ ضلالاً بعيداً)[2].

نعم أيها المتلفتون إلى جنبات الطريق لتضيفوا على الدين ما يروق لكم مما لم تخل منه جنبات الطريق حين مر منها المصطفى ﷺ وأصحابه ففضلتم عليهم لأنكم عرفتم حوجة سالك هذا الطريق إلى هذا الذي أضفتم، وإلا فهي بدعة تأتونها ظلماً، بهذه الحجة القاطعة والحس اليقظ أوقف عبد الله بن مسعود هذا الاتجاه.

وبمثل هذا مضى أيضاً التابعون رحمهم الله مقتفين آثار الصحابة باتباع السنة والتمسك بها والقيام عليها بالحماية، فلم تفش في عهدهم البدع ولم تعرف في زمانهم أذكار بدعية. وكان غاية ما عرف في عهد التابعين هو ظهور طائفة من الزهاد والعباد الذين اشتهر عنهم كثرة العبادة أو شدة الخوف أو كثرة

(١) انظر: كتاب ما جاء في البدع ص٥٤، محمد بن وضاح القرطبي، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، دار العصيمي الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٢) انظر: كتاب ما جاء في البدع والنهي عنها، لابن وضاح ٨ ـ ١٠، وتلبيس إبليس ص٢٥.

البكاء[1] لا سيما في البصرة فقد عرفت هذه الظواهر فيها أكثر من غيرها في تلك الفترة[2].

بيد أن شيئاً مما له صلة بهذه الأمور ظهر في حالات خاصة من بعض الأفراد وكان للتابعين عليه تحفظ واستفهام، ذلك هو ما ذكر من ظواهر الصياح أو السقوط وربما الصعق عند سماع بعض آيات القرآن، وهو أمر لم يكن من هدي السلف، وهو مخالف لأحوالهم مع القرآن فلما ظهر ذلك[3] تصدى له من بقي من الصحابة وكبار التابعين وواجهوه بالنكير فمن ذلك أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط فقال: ما شأنه؟ فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا. قال: إنا لنخشى الله عز وجل وما نسقط[4].

وكذلك أنس بن مالك أخبر بأناس إذا قرئ عليهم القرآن يصعقون فقال: ذاك من فعل الخوارج[5].

وقد سئلت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن حال أصحاب رسول الله ﷺ عند قراءة القرآن فقالت: كانوا كما وصفهم الله عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم، فقيل لها: إن ها هنا رجالاً إذا قرئ على أحدهم القرآن غشي عليه فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[6].

وهنا موقف فيه كثير من العبر، وهو ما جرى بين عبد الله بن الزبير وابنه عامر بصدد هذه الظاهرة يقول عامر بن عبد الله بن الزبير: جئت إلى أبي فقال لي: أين كنت؟ فقلت: وجدت أقواماً ما رأيت خيراً منهم، يذكرون الله عز وجل

(١) هذه الأمور ليست من البدع لكنها كانت بداية لنتوء وتميز في الصف بالإضافة إلى كونها غدت لبنة قام عليها ما جاء بعدها من ظواهر أكثر نتوءاً وشذوذاً.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٦/١١.

(٣) استنكار هذه الظواهر، مع احتمال صدق صاحبها يتمثل في أن فاعلها قد أشهر نفسه، وهذا شيء غير محمود بالإضافة إلى كونه خلاف ما كان عليه الصحابة.

(٤) تلبيس إبليس ص٣١٠.

(٥) المصدر نفسه ص٣١١.

(٦) المصدر نفسه ص٣١٠.

فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله عز وجل، فقعدت معهم، قال: لا تقعد معهم بعدها فرآني كأني لم يأخذ ذلك فيَّ فقال: رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا، أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر، فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم[1].

وهذا الأثر فيه النكير لهذه الظاهرة مع التعليل المقنع، بالإضافة إلى ما حواه من لفتات تربوية قيمة تشير إلى ما كان عليه أسلوب سلفنا الصالح في التعامل مع أبنائهم.

وكل من أدرك مثل هذه الظواهر من معمَّري الصحابة، قد أنكرها: وأنكره أيضاً التابعون الذين شاهدوه أو سمعوا به خشية أن يكون تكلفاً أو تصنعاً، وعلى كل فهو مخالف لأحوال الكمَّل الذين مضوا[2].

وهذا كبير التابعين وأميرهم عمر بن عبد العزيز[3] حفيد الفاروق يقول: أوصيكم بتقوى الله تعالى، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسول الله ﷺ وترك ما أحدثه المحدِثون بعد[4].

وظواهر الصياح والسقوط والصعق عند سماع القرآن هي أمور لم تعرف في عهد الصحابة مع أنهم كانوا أبلغ من تأثر وتفاعل مع القرآن، ولذلك كانت

(١) هذه الآثار رواها ابن الجوزي بسنده في التلبيس. انظر ص٣١٠ - ٣١٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٨/١١.

(٣) هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أبو حفص الخليفة الصالح، والملك العادل، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، روى عن أنس، والسائب بن يزيد، ولد سنة ٦١هـ وقيل ٦٣، كان من ثقات التابعين، ولد بالمدينة ونشأ بها وولي إمارتها للوليد، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام، وولي الخلافة بعده بعهد منه سنة ٩٩هـ، وسكن الناس في أيامه، ومدة خلافته سنتان ونصف، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة، توفي رحمه الله سنة ١٠١هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٤١٨/٧ - ٤٢٠، لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، والأعلام ٥٠/٥.

(٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص١٣.

جديرة بالتحفظ وربما بالاستنكار إذا خشي من كون الباعث إليها التكلف والتصنع أو أنها تكون باباً إلى ذلك لكن (إن كان الواحد من هؤلاء مغلوباً عليه فهو معذور ويثاب على ما حدث له من الإيمان، ولكن من يثبت مع ما يحدث له من الإيمان أكمل وأفضل، وهو حال الصحابة ﷺ، وكذا حال نبينا محمد ﷺ فقد أسري به ولم يصعق فهو أكمل وأعلى وأفضل ممن صعق)(١).

ثم جاء أتباع التابعين وسلكوا نهج التابعين في التمسك واتبعوا ولم يبتدعوا، وظلوا على حراسة باب الاتباع ووقفوا بالمرصاد لنافذة الابتداع.

فهذا كبيرهم وشيخهم سفيان الثوري(٢) رحمه الله يقول: (دع الباطل أين أنت عن الحق اتبع السنة ودع البدعة)(٣).

وبذلك مضت العهود المفضلة التي هي قرن النبي ﷺ وأصحابه وقرن التابعين وقرن أتباع التابعين كلها سالمة من انتشار البدع وشيوعها ولم تعرف شيئاً من البدع في الأذكار، والمقصود بهذه العهود والقرون هي المائة الأولى للهجرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فاعلم أنه لم يكن في عنفوان القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز، ولا بالشام، ولا باليمن، ولا مصر، ولا المغرب، ولا العراق، ولا خراسان، من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء، والتصدية، لا بدق ولا بكف، ولا بقضيب، وإنما أحدث هذا بعد ذلك في آخر المائة الثانية)(٤).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١١/١١ ـ ١٣.

(٢) الثوري: هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من بني ثور بن عبد مناة من مضر، أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، نشأ بالكوفة وخرج منها سنة ١٥٠هـ فسكن مكة والمدينة، ثم انتقل إلى البصرة، وكان آية في الحفظ وإماماً من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين، قال عنه النسائي: هو أجل من أن يقال عنه ثقة، وقال ابن أبي ذئب: ما رأيت أشبه بالتابعين من سفيان، توفي رحمه الله سنة ١٦١هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٤/٩٩ ـ ١٠٢، والأعلام ٣/١٠٤.

(٣) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص٧٠.

(٤) الفتاوى ١١/٥٦٩.

بهذا يتبين أن هذه الفترة الواقعة في المائة الأولى للهجرة، التي هي فترة القرون المعنية بالتفضيل، كانت خالية من استقرار البدع سواء في الأذكار أو في غيرها، وذلك لقرب العهد من نور النبوة، واتقاد جذوة النصح لهذا الدين، وصفاء النفوس، إذ أن جرثومة الكدر ما وفدت بعد.

* * *

المطلب الأول

المرحلة الأولى: المائة الثانية إلى نهاية المائة الثالثة ١٠١هـ إلى ٣٠٠هـ

مرحلة النشوء للذكر البدعي: (مجالس السماع[1] العامة، وأذكار خاصة)

لقد جاءت المائة الثانية، ومعها بدأت بذور حادثة في الذكر تنحو به منحى الابتداع، وكان ظهور هذه البذور في اتجاهين:

❖ **الاتجاه الأول: يتمثل في ظهور مجالس عامة للذكر والتذكير في البصرة وغيرها[2]:**

وهذه المجالس وإن كانت حادثة من حيث الهيئة إلا أن الذكر والتذكير فيها كان من المعلوم الذي لا ينكر لا سيما مع بداية ظهورها.

فالتذكير فيها كان يقوم على الكلام في علم الآخرة، والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفاتها، وخواطر الشيطان ووجوه الحذر منه، وتذكر

(١) السماع: هو مصطلح كان يطلقه متقدمي الصوفية على فهم يقع لأحدهم بغتة يكون عنده غيبة، سواءً كان ذلك حال سماع نظم أو غيرهما، وأما عند المتأخرين منهم فهو عبارة عن مجموع أمور منكرة، يقيمونها وقد أحضروا المشتغلين بالغناء ومعهم آلات اللهو كالدفوف والمزامير وغيرها، ثم تضاف إلى ذلك بقية المفاسد من الاختلاط، والرقص، والسهر، والإسراف، وغير ذلك. انظر: كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، أحمد بن عمر إبراهيم القرطبي ص٤٤، تقديم وتحقيق د. عبد الله بن محمد الطريقي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ الرياض.

(٢) انظر: نشأة التصوف الإسلامي ص١٦، إبراهيم بسيوني، دار المعارف بمصر.

بآلاء الله سبحانه ونعمائه وتقصير العبد في شكره، وتعرف بحقارة الدنيا وعيوبها، وتصرمها وقلة عهدها، وخطر الآخرة وأهوالها، وهذا التذكير محمود شرعاً وورد الأمر به والحث عليه[1].

لكن الأمر لم يبق على ذلك، فقد تحولت تلك المجالس إلى تجمعات يقوم عليها الوعاظ والقصاص ويقصدها العامة والرعاع، وتلقى فيها غرائب القصص والأشعار والطامات[2].

وإذا كانت حلقات القصاص والوعاظ تشير إليها أصابع الاتهام من قبل أهل التفسير بأنها كانت طريقاً لدخول الإسرائيليات، ومن أهل الحديث باتهامها ببداية الوضع والكذب في الحديث، فلعل من المناسب هنا الإشارة إلى أنها أيضاً: كانت السبب في ظهور مجالس السماع المبتدع للقصائد والأشعار الغزلية واعتبار ذلك من الذكر والتذكير[3].

وما أن شارفت المائة الثانية على الانتهاء حتى غدا السماع المبتدع للقصائد الزهدية الربانية بقصد ترقيق القلوب بالألحان والموسيقى ظاهراً بدء في الانتشار، وعرف الحادي[4] في حلقة الذكر - زعماً منهم - أن ذلك يهيج القلوب ويوجهها إلى علام الغيوب[5].

وحين ظهر هذا السماع المبتدع المقارب للعبث واللهو، بقدر ما فيه من مباعدة عن العبادة والذكر، أنكره العلماء وعابوا أهله، فها هو الشافعي رَحِمَهُ اللهُ

(١) انظر: مفتاح السعادة ومصباح السيادة ٣/١٢ - ٤، لأحمد مصطفى طاش كبري زاده، تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، مطبعة الاستقلال الكبرى.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) انظر: تلبيس إبليس ١٥١ - ١٥٢.

(٤) الحادي: هو من حدا حدواً وحُداء، وحدا الإبل أي ساقها وحثها على السير بالحداء، فعل أي غنَّى لها لتسير، وحداها بمعنى زجرها من خلفها فهو حاد... انظر: القاموس المحيط ٦٠٥/١ الطبعة الثانية الحلبي باب الحاء.

(٥) انظر: التاج المكلل من جواهر الطراز الآخر والأول ص٥٠٥ - ٥٠٦، صديق حسن علي القنوجي، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م، المطبعة الهندية العربية بمباي الهند.

يقول: (تركت بالعراق شيئاً يقال له: التغبير[1]، أحدثه الزنادقة يصدون الناس به عن القرآن)[2].

ثم تتابع العلماء على إنكاره كل في مكانه وزمانه، فأنكره الإمام أحمد قائلاً: التغبير محدث، ووصفه بأنه بدعة ونهى عن سماعه وكرهه[3].

وهذا السماع المبتدع (لم يحضره أكابر الشيوخ الصالحين والذين حضروه من المشايخ الموثوق بهم رجعوا عنه)[4].

وهذا السماع الذي كانت بدايته مجالس الذكر والتذكير، ثم حلقات الوعاظ والقصاص ثم التغبير والسماع المبتدع للقصائد والأشعار الملحنة مع الإيقاع، اكتملت صورته في هذه المرحلة المبكرة.

○ صورة موجزة لمراحل وتطور السماع:

وأذكر هنا بإيجاز مراحل تطور السماع المبتدع في المفهوم والممارسة.

فالسماع كان عند متقدمي الصوفية يطلقونه على فهم يقع لأحدهم بغتة، يكون عنده وجد وغيبة سواء كان ذلك في نظم أو نثر أو غيرهما، وأما عند متأخريهم فهو عبارة عن مجموع أمور جديرة بالإنكار، وذلك أنهم يستدعون المعروفين بصنعة الغناء وإن كانوا مشتهرين بالمفاسد والفحشاء ومعهم آلات اللهو المعروفة عند أهل البطالة واللغو كالمزامير، ثم يغص المكان بالسكان وتجهز الأطعمة والحلاوات بألوانها فتمتلئ البطون ويشبع النهم ثم يندفع المغنون بتلك الأصوات والنغمات ويوقعوا ذلك مع مطابقة المزامير والآلات وحينئذ لا حياء، فيختلط الحاضرون ويقومون على قدم وكأنهم شربوا بنت الكرم، فإشارات

---

(١) التغبير هو تزهيد الناس في الفانية وترغيبهم في الباقية ومعنى يغبرون يذكرون الله... ويرددون الصوت بالقراءة ونحوها. انظر: لسان العرب ٩/١٠، وتعليق زهير الشاويش في كتاب ذم ما عليه مدّعو التصوف ص٧.

(٢) انظر: كتاب ذم ما عليه مدّعو التصوف، لابن قدامة ص٧ ـ ٨.

(٣) انظر: الفتاوى ٥٩٢/١١ وما بعدها.

(٤) المصدر السابق والصفحة.

بالأكمام ورقص بالأردان[1] ـ وليس هذا المشهد إلا من ذاك ـ.

وبهذا يكون السماع المبتدع قد استكمل صورته مبكراً، وذلك لأنه جاء ليصبغ شيئاً يستهوي الطباع ويجذب المفتونين والرعاع، بصباغ العبادة والذكر، والزمان لم يخل من الكلام الرقيق والصوت الأنيق، والآلة المطابقة، وهو قد يقل هنا ويكثر هناك، ويقل في حين ويتوافر في آخر، ولكن لم تزده السنون شيئاً فوق ما وصل إليه في هذه المرحلة، إلا ما أتى من تغير في الآلة، وزيادة في الحضور، وكثرة في الجلبة، ولذلك ونحن بصدد الذكر المبتدع لن نتتبع السماع وسنكتفي بما عرفناه من بدايته وكونه ما احتاج للوقوف على القدمين إلى كثير زمان، ونشير هنا بصورة موجزة إلى مراحل تطوره وتتمثل فيما يلي:

١ ـ بداية كان السماع باستماع منشد صاحب صوت حسن، مع الإيقاع، لقصائد زهد بقصد ترقيق القلوب.

٢ ـ ثم تطور إلى إنشاد قصائد الغزل وذكر (ليلى) و(سعدى) وعلى زعم أن المقصود بذلك رسول الله ﷺ وهذه القصائد فيها تهيج للطباع وتحريك للحب المطلق لغير المعين وتهيج لما يعتلج في النفوس من النسوان والأوطان والأشجان.

٣ ـ ثم تطور إلى ذكر الله بالرقص والدف والغناء وإقامة التراتيل بذكر اسم (الله) مفرداً ثم يشتد الرقص ويتحول اسم الله إلى (هو) ثم لا تسمع إلا همهمات، وقد يجتمع إلى ذلك مع القفز والصراخ، اختلاط النساء بالرجال حتى غدا كأنه (تراث شعبي) لا يختلف عن أي مهزلة[2].

وهذه هي صورة السماع المبتدع بالأمس واليوم، وفي الليل الطويل الذي امتد بين اليومين.

---

(١) انظر: كشف القناع عن أحكام الوجد والسماع ص٤٤.

(٢) انظر: الصوفية نشأتها وتطورها ص٩٩ ـ ١٠٠ محمد العبدة وطارق عبد الحليم، دار ابن الأرقم، برمنجهام بريطانيا، الطبعة الثالثة.

❖ **الاتجاه الثاني: مما كان فيه بدايات للذكر المبتدع، في هذه المرحلة يتمثل:**

فيما نقل عن وجود أذكار خاصة، لبعض الأفراد في هذه الفترة، وما زعم عن معرفة أشخاص لاسم الله الأعظم والالتقاء بمن يؤخذ عنه ذلك كالخضر[1].

وهذه الأمور هي بمثابة لبنة للاتجاه الذي أخذه الذكر المبتدع فيما بعد، وأول من أثر عنه أنه كان له أذكار وأدعية خاصة، أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور البلخي[2].

يقول عنه في الرسالة القشيرية: وأنه رأى في البادية رجلاً علمه (اسم الله الأعظم) فدعا به بعده، فرأى الخضر عليه السلام وقال له: إنما علمك أخي داود اسم الله الأعظم، وقيل: كان عامة دعائه: «اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك»[3].

وفي وقت متزامن مع عصر ابن أدهم ولكن في بيئة أخرى هي بيئة غلاة التشيع كانت فكرة الاسم الأعظم منتشرة، وقد ظهر أكثر من مدعي لمعرفته وسره، وأنه يستطيع أن يهزم به الجيوش ويدعو به الزهرة فتجيبه، بل إن هناك من قال بأنه يستطيع إحياء الموتى بالاسم الأعظم[4].

ومظاهر الأذكار الخاصة المتمثلة في كلمات تنسب لشخص معين، متضمنة لدعوات أو كلاماً عن فلسفة الذكر نفسه، أو مواقف لها صلة بهذه

(١) الخضر سيأتي الحديث عنه في مبحث مستقل في فصل مصادر الذكر البدعي ص٣٨٣، وما بعدها.

(٢) ابن أدهم: إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر، أبو إسحاق العجلي، وقيل التميمي نزيل الشام، ولد في حدود المائة، وتوفي سنة اثنتين وستين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٨٧ ـ ٣٩٦، والبداية والنهاية ١٣/ ٤٩٤، ٥١٦.

(٣) الرسالة القشيرية ١/ ٥١ ـ ٥٢.

(٤) انظر: التصوف الإسلامي ومدارسه ٨١ ـ ٨٣، دار المطبوعات الجامعية، مطابع رويال، إسكندرية.

الأمور، ظلت تظهر على قلتها هنا وهناك من شخص أو آخر بدءاً من منتصف المائة الثانية وحتى نهاية المائة الثالثة، فقد جاء في طبقات الصوفية[1] عن أبي حفص النيسابوري أنه قال مرة وقد ذكر الله تعالى وتغير عليه حاله فلما رجع قال: (ما أبعد ذكرنا من ذكر المحققين؟ فما أظن أن محققاً يذكر الله عن غير غفلة ثم يبقى بعد ذلك حياً، إلا الأنبياء فإنهم أُيدوا بقوة النبوة، وخواص الأولياء، بقوة ولايتهم[2]. وقد توفي أبو حفص هذا في سنة سبعين ومائتين أو سنة سبع وستين ومائتين ٢٧٠هـ أو ٢٦٧هـ[3]. وجاء في صفة الصفوة أيضاً في ترجمة أبي يزيد البسطامي أنه صعد ليلة سور بسطام فلم يزل يدور على السور إلى وقت طلوع الفجر يريد أن يقول: لا إله إلا الله فيغلبه ما يرد عليه من هيبة الاسم فلا يستطيع أن يطلق لسانه، فلما كان وقت طلوع الفجر نزل فبال دماً، ووفاة البسطامي كانت في سنة إحدى وستين ومائتين[4].

وهذه فلسفة غريبة، يكون الذكر فيها مما يتلف النفوس والأبدان والعقول، وهذا فهم بعيد عن الفهم الصحيح للذكر وشأنه مع النفوس والقلوب السوية، فهو فيه راحة للنفس وطمأنينة للقلب، ومناقض لما تجده النفوس من الراحة والطمأنينة في الذكر كما قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[5]. وحكي عن أبي يزيد أيضاً في الرسالة القشيرية قال: ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط ليذكر الله سبحانه على سور الرباط، فبقي إلى الصباح لم يذكر، ـ فلما سئل عن ذلك ـ قال: تذكرت كلمة جرت على لساني في حال صباي، فاحتشمت أن أذكره ﷻ[6].

(١) أبو حفص النيسابوري: شيخ خراسان عمرو بن سلم، وقيل: عمر، وقيل: ابن سلمة النيسابوري الزاهد، ويقال: إنه أوّل من أظهر طريقة التصوف في نيسابور، توفي في سنة أربع وستين ومائتين، وقيل سنة خمس. انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٥٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥١٠ ـ ٥١٣.

(٢) انظر: طبقات الصوفية ص١١٨. (٣) انظر: المصدر السابق ص١١٨.

(٤) انظر: صفة الصفوة ٤/ ٨٨ ـ ٩٣، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، الطبعة الثانية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند ١٩٧٢م.

(٥) سورة الرعد: الآية ٢٨. (٦) الرسالة القشيرية ١/ ٨٢.

وجاء عن سهل بن عبد الله التستري[1] قوله: قال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟.

فقال لي: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله شاهدي، فقلت ذلك ثلاثة أيام ثم أعلمته به، فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي له حلاوة، فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سري[2].

وهذه الحكاية فيها نواحي بدعية متعددة، فالذكر فيها ليس من الوارد، والكيفية مبتدعة وفيها وضع وترتيب للأعداد والأيام، ثم التوصية للاستمساك بهذه الصيغة مع إهمال الوارد، ثم فيها ذكر لفائدة هذا الوضع في الصيغة والكيفية والترتيب المبتدع.

وقبل نهاية المائة الثالثة أيضاً ذكر شيء من الكلام عن تقسيم الذكر وتصنيفه وتعديد الآفات التي قد تذهب بالمراد منه، فقسم الذكر إلى ذكر باللسان وهو القولي، وذكر بالقلب وهو ذكر التدبر والتفكر، وذكر السر، وذكر بالروح[3].

فقد نقل عن ابن عطاء السكندري[4] المتوفى ٣٠٩هـ قوله:

---

(١) التستري: هو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع، أبو محمد التستري أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات وفي الخلاص من عيوب الأعمال، توفي سنة ٢٨٣هـ. انظر: طبقات الصوفية ص٢٠٦ ـ ٢١١، والرسالة القشيرية ١/ ٨٣ ـ ٨٥.

(٢) الرسالة القشيرية ١/ ٨٣ ـ ٨٤.

(٣) انظر: نشأة التصوف الإسلامي ص١٦٢، إبراهيم بسيوني، دار المعارف بمصر.

(٤) ابن عطاء السكندري: هو أبو العباس أحد أئمة الصوفية، أحمد بن محمد بن عطاء الأدمي، كان يقرأ في كل يوم ختمة وكان ممن اشتد عليه أمر الحلاج وأظهر موافقته، فعوقب على ذلك بالضرب على شدقيه وأمر بنزع خفيه وضربه بهما على رأسه، ومات =

أرى الذكر أصنافاً من الذكر ... حشوها وداد وشوق يبعثان على الذكر

فذكر أليف النفس ممتزج بها ... يحل محل الروح في طرفها يسري

وذكر يعزي النفس عنها لأنه ... متلف من حيث تدري ولا تدري

وذكر علا من المعارف والذرى ... تجل عن الإدراك بالوهم والفكر

تراه لحاظ العين بالقلب رؤية ... فيحفوا عليه أن يشاهد بالذكر[1]

❖ خلاصة هذه المرحلة:

هذه المتفرقات المتناثرة التي لم تأخذ معلماً واضحاً، امتدت من بداية المائة الثانية للهجرة وإلى نهاية المائة الثالثة للهجرة، ولعلها هي جل ما رصد في تلك الفترة، ولكن مع قلتها وتناثرها في الأمكنة والأزمنة والأشخاص، إلا أنها بمجموعها ومضمونها، تعتبر البذور والجذور الحقيقية التي نشأ عنها الذكر المبتدع، حين قامت له فيما بعد جماعات وطرق منظمة تلتقي وتفترق عليه.

وتتلخص هذه البذور والنزوات في هذه المرحلة فيما يأتي:

١ ـ استكمال السماع المبتدع لتمام صورته في الهيئة من حيث الرقص واستخدام أدوات الطرب، وفي المضمون حيث تحولت القصائد الزهدية إلى قصائد غزل وأوصاف، وجعل ذلك كله من الذكر والعبادة.

٢ ـ ظهور أدعية خاصة يعرف بها فردٌ ما، كما ذكر عن إبراهيم بن أدهم وغيره.

٣ ـ ادعاء اللُّقيا بالخضر أو غيره لتعليم دعاء أو ذكر معين، وهذا باب كبير أصبح فيما بعد عمدة في مصدر الذكر البدعي.

٤ ـ الكلام في اختيار صيغة معينة للذكر وبكيفية خاصة وبعدد مرتب على أيام معينة دون أن يكون ذلك من الشارع، وذكر ذلك على أنه مما يكسب الفوائد.

= بعد سبعة أيام من ذلك، وكان موته في سنة ٣٠٩هـ. انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٨٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٥.

(١) انظر: نشأة التصوف الإسلامي ص٨٥، ١٦٢، نقلاً عن عوارف المعارف ص٧٦.

٥ ـ ظهور الكلام في تصنيف الذكر وتقسيمه.

هذه هي خلاصة الظواهر التي تعتبر النواة والبذور الحقيقية التي تجعل هذه المرحلة هي مرحلة النشوء والتمهيد للذكر المبتدع، ومع هذا فلم يكن الذكر آثر الأمور عند المبتدعة في هذه الفترة كما يقول أصحاب دائرة المعارف الإسلامية وهم يعرفون لكلمة (حزب)[١] إن كلمة حزب لم تطلق على الأدعية إلا في القرن السادس للهجرة، وأن الغزالي المتوفى في ٥٠٥هـ لا يتكلم إلا عن الدعاء ثم يشيرون إلى تأريخ نشوء الأحزاب المتأخر[٢].

ويؤكد ذلك صاحب كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري فهو يقول: وقد بقي الذكر في أثناء القرن الثاني الهجري قليل القيمة ـ يعني القيمة التي أصبحت له فيما بعد عند أرباب الطرق ـ ويندر أن تجد له ذكراً في كتب العلماء في ذلك القرن[٣].

وعليه، فهذا هو ما كان من شأن الذكر المبتدع في هذه الفترة تمهيد وبدايات وبذور لمنحى الابتداع في الذكر، ولكن دون أن تكون منتشرة أو منظمة، فضلاً من أن تقوم لها أو بها جماعات كما حدث فيما بعد.

❊ ❊ ❊

(١) حزب: يطلق على ذكر يتلوه كل رباط في الحضرة التي يعقدها كل جمعة في الزواية ويتألف الذكر من مختارات، انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٧/٣٦٩ تأليف مجموعة من المستشرقين، ترجمة أحمد الشيتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد، وليس فيها إشارة عن الطبعة والتاريخ.

(٢) نفس المصدر ٧/٣٦٩ ـ ٣٧٠.

(٣) الحضارة الإسلامية ٢/١١٤، تأليف آدم ميتز، نقله إلى العربية محمد الهادي أبو ريدة الطبعة الرابعة ١٩٦٧، دار الكتاب العربي بيروت.

المطلب الثاني

المرحلة الثانية من ٣٠٠ هـ ـ إلى ٥٠٠ هـ (جمود واختفاء)

❖ قيام التصوف على أرضية النزعات الخاصة:

في خلال المرحلة السابقة، التي امتدت من بداية المائة الثانية للهجرة وإلى نهاية المائة الثالثة حصل شيء مهم وخطير في الساحة الإسلامية، وهو أن تلك الظواهر والنزعات الفردية التي كانت متناثرة هنا وهناك من أصحاب المبالغة في التنسك والزهد أو الكلام عن النفس وأهوائها وأدوائها وعن الدنيا وتصرمها وعن القلوب ودواخلها، وما إلى ذلك، تلك البدع التي ظاهرها انصراف للعبادة وانشغال بها كالأذكار الخاصة ونحوها، وكانت مما استراب منه مقتفو الطريق الذي كان عليه المصطفى ﷺ من معمَّري الصحابة وكبار التابعين وتابعيهم.

هذه الأمور التي كانت كظواهر متعددة ومختلفة ومتناثرة، ولا يجمعها سوى أنها مما لم يكن عليه هدي السلف، لجنوحها إلى جانب الإفراط والمبالغة والميل عن الوسطية، وكانت كزبد رابي في أودية متشعبة لا يُعرف لها مساراً محدداً، ولا وجهة معينة، لقد جاءت مدرسة التصوف فجعلت من ذلك كله لبنات لبنائها، ومنه أخذت صورتها وشكلت ملامحها.

إذ أن مدرسة التصوف قامت على أرضية هذه الظواهر والنزعات الفردية[١].

وبالمقابل فحين ظهر التصوف وقامت مدرسته وجد فيه من كان له رغبة

(١) انظر: تلبيس إبليس ص٢٠١، ومجموع الفتاوى ١١/٦ ـ ١٩.

في المبالغة ونزوعاً عن الوسطية بغيته، كما وجدت هي فيهم الأرضية الخصبة التي قامت عليها.

تقول الموسوعة الميسرة: التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية[1].

وقد رصد ذلك ابن الجوزي رحمه الله في التلبيس، حيث يذكر الملامح التي كان عليها أوائل القوم ثم كيف تدرج بهم الأمر فيقول: ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن هيئته بعبارات كثيرة، وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص.. إلخ، وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبَّس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبَّس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أن صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود هو العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات، فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم حتى أنه كان فيهم من لا يضَّجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة، ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك، وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات وميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق، ثم ما زال الأمر ينمو والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ويتكلمون بواقعاتهم، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه وهؤلاء بين الكفر والبدعة، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم، فمن هؤلاء

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/٢٥٣.

من قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع[1].

هذا التصوير الملخص للتصوف هو من ابن الجوزي الخبير الذي جاء بعد جلاء الزبد ومضي الفترة التي تدرج فيها المتصوفة في الممارسات والأفكار وانقشع الدخان وانجلى الغبار، فبدا واضحاً ما ألحقوه بالجسد الإسلامي من الندوب والتشويه، وما ملؤوا به ساحة المسلمين من أفكار دخيلة بعيدة عن الحق الذي أنزله الله لينفع الناس ويمكث في الأرض. والحديث عن الصوفية ونحن بصدد الذكر المبتدع ونشأته وتطوره اقتضاه أمران:

أحدهما: دور التصوف في هذه المرحلة في اختفاء الجوانب العملية من العبادات والزهديات وحمل النفوس على المشاق وضمن ذلك ظواهر الاشتغال ببعض الأذكار الخاصة وكل الأمور التي عبرنا عنها بالنزعات الفردية، التي كانت سائدة إلى نهاية المائة الثالثة.

الثاني: احتضان التصوف وطرقه للذكر المبتدع فيما بعد، وجعلهم له شعاراً يتميزون به عن بقية الأمة وألواناً يتمايزون بها عن بعضهم، كما سيتبين في المرحلة الثالثة.

أما بالنسبة لدور التصوف في هذه المرحلة، فبعد التلاقي الذي حصل بين أهل تلك النزعات الفردية وبين الصوفية بدأت عملية التأثير والتأثر كطبيعة كل تلاقي بين شيئين، فعلى أرضية أهل النزعات والمجاهدات نشأ التصوف، وبعد نشوئه لاذ إليه كل أولئك الذين لم يكن لهم كيان يجمعهم وأصبح المسار فيما بعد وفقاً لتطور التصوف.

ففي الوقت الذي كان ما حفل به القرن الأول وبعض القرن الثاني من طوائف العباد والزهاد والتائبين الذين كانوا أهل عمل ومجاهدة أكثر من كونهم أهل قول ونظر[2].

(١) تلبيس إبليس ص٢٠١ ـ ٢٠٣.

(٢) انظر: نشأة التصوف الإسلامي ص٨٩، إبراهيم بسيوني، دار المعارف بمصر.

قد تحول الأمر مع الصوفية في المائتين الثالثة والرابعة إلى الأقوال والتنظير أكثر من الأعمال والمجاهدات.

وبعبارة أخرى: إن التصوف الذي كان في القرنين الأولين طريقاً من طرق العبادة يتسمى باسم الزهد أو الفقر أو النسك، أصبح في القرنين الثالث والرابع علماً للباطن يتناول الأحكام الشرعية في العبادات من ناحية آثارها على قلوب المتعبدين[1].

❀ ❀ ❀

(١) انظر: الحياة الروحية في الإسلام ص١٢٣ ـ ١٢٤، محمد مصطفى حلمي الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

خلاصة تطور مراحل التصوف

قد أطلق: الصوفي والمتصوف بادئ الأمر في هذه الحقبة التاريخية بالذات، أي بعد انقضاء مائتي عام من الهجرة، مرادفاً للزاهد والعابد، ولم يكن لهذه الألفاظ معنى يزيد على شدة العناية بأمر الدين، ولكن مع بداية الانفتاح وبروز ظاهرة التصوف بدء الانحراف في الفكر في ممارسة العقيدة داخل المجتمع المسلم على اعتبار مظهر وخروج على نهج السلف، وكان هذا بعد مرحلة القرنين الثالث والرابع الهجريين[1].

ولعل صاحب كتاب التصوف الإسلامي تأريخه ومدارسه أجاد في تحديد ما تطور إليه التصوف من مدارس ثلاثة متوالية فهو يقول: اتخذ مفهوم التوحيد في تطور التصوف الإسلامي ثلاث مراحل:

لا إله إلا الله. بمعنى: لا معبود إلا الله.

لا إله إلا الله. بمعنى: لا فاعل إلا الله.

لا إله إلا الله. بمعنى: لا موجود إلا الله.

فنزعت مدرسة الزهد وهي أول مراحل التطور إلى العبادة، والتقشف، والإخلاص والمجاهدة، والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا، فلا معبود إلا الله.

ونزعت مدرسة (الكشف) وهي ثانية المراحل ـ إلى التأمل والفكر والاستدلال ومعرفة النفس الإنسانية وقواها، والكشف عن حقائق الوجود، والنظر في خلق السموات والأرض، فلا فاعل إلا الله.

(١) انظر: دراسات إسلامية في الفرق ص١٠٤ ـ ١٠٧، صابر طعيمة، مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٣هـ.

ونزعت مدرسة الوحدة ـ وهي آخر أطوار التصوف إلى الفناء في الله ومحو الوجود المجازي في الوجود المطلق الحقيقي، فلا ترى موجوداً حقاً إلا الله تعالى وما سواه عدم، فلا موجود إلا الله[1].

وهذا الكلام يبين مراحل التصوف وتطوره، ويتبين منه أيضاً أن المرحلة الثانية للذكر المبتدع التي قصدنا بها من ـ ٣٠٠ هـ إلى ٥٠٠هـ تقع ضمن المرحلتين الأخيرتين من مراحل تطور مدرسة التصوف، وهما مدرستا الكشف والوحدة، وهي فترة تحول فيها المتصوفة إلى أهل كلام وتنظير، وطوام في الأقوال والأفكار التي تدور بين الكفر والزندقة والبدعة إلا من رحم الله.

وبالتالي تعتبر هذه الفترة بالنسبة للذكر المبتدع فترة كمود وجمود، واختفاء تحت الرماد إلى أن تأتي العاصفة التي حركت هذا الجمود، وأضرمت النار فيما تحت الرماد كما سيتبين في المرحلة التالية.

❁ ❁ ❁

(١) التصوف الإسلامي تأريخه ومدارسه وطبيعته وأثره ص١٢٧، أحمد توفيق عيّاد، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠م.

المبحث الثاني

مرحلتي التطور والتتابع

المطلب الأول

المرحلة الثالثة من (٥٠٠هـ إلى ٨٠٠ هـ)

❖ **مرحلة تطور الأذكار المبتدعة والظهور المنظم للطرق:**

هذه المرحلة هي مرحلة الظهور المنظم والتطور الفعلي للأذكار المبتدعة، فقد رأينا منحى التصوف مع نهاية المائة الثالثة للهجرة، من أنه كان متجهًا إلى أخطر مراحله على الإطلاق وهي التي اختلط فيها التصوف بالفلسفة، فظهرت أفكار الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وأن الموجود الحق هو الله، وما عدا ذلك فأوهام وخيالات تمامًا كما يقول الفلاسفة، وبذلك كان التصوف قد تعدى في تلك المرحلة من البدعة العملية إلى البدعة العلمية التي خرج بها في مجمله عن الإسلام بالكلية، ومثَّل هذا المنحى الحلاج[1] المقتول في ٣٠٩هـ، واقتفى أثره من جاء بعده من أصحاب هذه الأفكار[2].

ومن ناحية أخرى فقد أصبح المتصوفة لا يحفلون بالجانب العملي في

(١) هو الحسين بن منصور بن محمي الحلاج أبو مغيث، ويقال أبو عبد الله، كان جده مجوسيًا فأسلم، نشأ بواسط وقيل بتستر فصحب سهل بن عبد الله التستري والجنيد ببغداد وأبا حسين النوري، وأكثر الترحال والأسفار والمجاهدة وتبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لسوء سيرته ومروقه ونسبوه إلى الضلال والانحلال، ومنهم من نسبه إلى الزندقة والانحلال، وانتحله طائفة من ذوي الضلال والانحلال نسأل الله السلامة، وكان مقتله في سنة تسع وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٣ ـ ٣٥١، والبداية والنهاية ١٤/ ٨١٨ ـ ٨٤٠.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

العبادات عمومًا ولا في جانب الأذكار على الخصوص، ولكن بما أن سفينة التصوف يتغير سيرها وفق ما ينزع إليه أقوى الرجال حضورًا وأعلاهم صوتًا، فقد ظهر في القرن الخامس الهجري في سماء التصوف أبو حامد الغزالي[١] فكبح شيئاً من جماح الإفراط الفكري المارق وأيقظ شيئاً من ركود التفريط العملي في جانب العبادات.

فقد صنف وقعَّد للتصوف، ومنذ القرن السادس أخذ التصوف في النفوذ في العالم الإسلامي بتأثير ثقل شخصية الغزالي[٢].

تقول الموسوعة الميسرة عن هذه المرحلة: ما بين النصف الثاني من القرن الخامس وبداية السادس، في زمن أبي حامد الغزالي الملقب بحجة الإسلام ت٥٠٥هـ، أخذ التصوف مكانه عند من حُسبوا على أهل السنة، وبذلك انتهت مرحلة الرواد الأوائل أصحاب الأصول غير الإسلامية[٣].

وإذا كان الغزالي قد أثَّر في التصوف فأعاده إلى شيء من العلم والعمل، فالتصوف أيضاً بدوره قد أثَّر في الغزالي فجعله يتبنى نظرية الكشف[٤] التي تعتبر عند المتصوفة باباً للتلقي عن الله ينقص به أو يضاف أو يبدل في الدين، وعلى تسليم الغزالي للمتصوفة بحالهم في الكشف فقد حشى في كتابه: إحياء علوم الدين ـ ما يرفضه الشرع ويأباه العقل من دعاوى المتصوفة وشطحاتهم، وقد أشار ابن الجوزي إلى بعض من ذلك وتعجب منه أشد العجب قائلاً: وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الإحياء قال: كان بعض الشيوخ في بداية إرادته يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع، قال: وقد عالج بعضهم بأن باع جميع ماله ورماه في البحر،

(١) الغزالي سبقت ترجمته في ص٢٦٧.

(٢) انظر: مدخل للتصوف الإسلامي ص١٨، د. أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

(٣) الموسوعة الميسرة ١/٢٦١.

(٤) الكشف سيأتي تعريفه والكلام عنه في فصل مصادر الذكر البدعي ص٣٨٨.

إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل ـ قال: وحكى أبو حامد: أن أبا التراب النخشبي[١] قال لمريد له: لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة، قلت: سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الإحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لا يحل، والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمي أصحابه أرباب أحوال[٢].

وإذا كان ابن الجوزي يتعجب من الغزالي في إغماضه الفقه وتغميضه العقل تسليماً منه لكشوفات المتصوفة، فلعل مما يقال أيضاً إن المرء قد يحتار فيما إذا كان الغزالي قد أحسن أم أساء، فيما قام به من دور في تحول الصوفية من منحى المروق الكلي، إلى التستر بثوب جديد مما أتاح لها القبول في الساحة الإسلامية، ومن ثم التأثير والنفوذ في القرون التالية، فمن هذا التأريخ وعلى أرضية هذا التحول، ومع منتصف القرن السادس، بدأت الطرق الصوفية المنظمة في الظهور، وأصبح الذكر وآدابه وطرق تلقينه وأدائه هو القاسم المشترك لكل الطرق، وهو الذي يميز كل طريقة عن غيرها.

والذكر المعني: هو الذي يقوم على ترديد العبارات المعينة مرات كثيرة جداً، وربما صحبه أغاني صوفية لا يفرق بينها وبين أغاني الحب، يصحب ذلك رقص ونقر ونفخ[٣]. ومنذ القرن السادس الهجري وحتى اليوم، فإن معظم الفرق الصوفية إن لم تكن جميعاً تنتظم حلقات الدرس الطرائقي والورد الصوفي وهم في ذكرهم وحلقاتهم مجموعات[٤].

* * *

(١) النخشبي شيخ الطائفة أبو تراب عسكر بن الحصين النخشبي، ومدينة نخشب من نواحي بلخ، كتب العلم وتفقه، ثم تأله وتعبد وساح وتجرد، مات بطريق الحج، انقطع فنهشته السباع في سنة خمس وأربعين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦.

(٢) تلبيس إبليس ص٤٢٧ ـ ٤٢٩.

(٣) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ٣٨٨.

(٤) الصوفية معتقداً ومسلكاً ص٢٠١ ـ ٢٠١.

أوائل الطرق المنظمة التي ظهرت في هذه المرحلة

والمقصود بها الطرق التي تستقل كل واحدة منها باسمها ونظامها وسلوكها وأورادها.

وسأذكر هنا أوائل هذه الطرق وأهمها، والتي تعتبر أصول تفرعت عنها بقية الطرق التي أتت بعد ذلك، بالإضافة إلى أنها ما زالت مستمرة إلى اليوم، ولها انتشار واسع وهي:

١ ـ القادرية

٢ ـ الرفاعية

٣ ـ الشاذلية

٤ ـ النقشبندية

٥ ـ البدوية

ولقد ذكر كثير من الباحثين أن هذه الطرق المذكورة هي أول من ظهر، وما جاء بعدها يعتبر فروعاً عنها.

يقول صاحب كتاب التصوف بين الحق والخلق، وهو يتحدث عن مراحل التصوف وتطوره: ثم نشأت بعد ذلك طرق صوفية كثيرة في القرنين السادس والسابع أهمها القادرية... إلخ[1]. فيذكر هذه الطرق، وكذلك صاحب الفكر السامي، وصاحب المدخل إلى التصوف، كما أشارت إلى ذلك دائرة المعارف الإسلامية.

---

(١) التصوف بين الحق والخلق ص٢٣١، وانظر: الفكر السامي في تأريخ الفقه الإسلامي ٢/٥٩، ومدخل إلى التصوف الإسلامي ص٢٣٦ ـ ٢٤٢، ودائرة المعارف الإسلامية ٧/٣٦٩ ـ ٣٧٠، و١٤/١٨٦.

وسأقف هنا وقفة قصيرة، مع كل واحدة من هذه الطرق المذكورة، للتعرف على ما عندها من مسلك مبتدع في الذكر أو في ممارسته وفهمه ومضامينه، ليتضح من ذلك أهمية هذه المرحلة في تطور الذكر البدعي.

* أ ـ القادرية *

هي طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني[1]. وهي من تأسيس الشيخ عبد القادر، وتنظيمه[2]. فقد وضع لها نظاماً وتعاليم وآداباً، وشروطاً، وأصبح له أتباع ومريدون وحملة لدعوته، وظهر من ينشر طريقته في البلدان ومنهم من بدء بذلك في حياته[3].

وللقادرية أوراد وأحزاب كما هو شأن كل الطرق الصوفية، ومن الأذكار الخاصة بالقادرية حزب ينسب إلى عبد القادر الجيلاني، يطلق عليه حزب الرجاء والانتهاء، أوله: سبحان الله تسبيحاً... إلخ[4].

ومن أحزابهم الرئيسية، حزب المحّ: (محاً محاً محاً، وحا بحا حم لا ينصرون... إلخ) ويقولون عنه: (أن من قرأه صباحاً ومساء ثلاث مرات لا يضره شيء بإذن الله تعالى)[5].

---

(١) عبد القادر الجيلاني هو: عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داوود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض، ولد بجيلان في سنة ٤٧١هـ وتوفي سنة ٥٦١هـ، ويكنى الجيلاني بأبي محمد، وينسب إلى جيلان. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٣٩ ـ ٤٥٠، والأعلام للزركلي ٤/٤٧، والبداية والنهاية ١٢/٢٧٠.

(٢) انظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراءه الإعتقادية والصوفية ص٦٣٦ وما بعدها للدكتور سعيد بن مسفر القحطاني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، والشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد ص٢٤٩، عبد الرزاق الكيلاني، دار القلم دمشق ١٤١٤هـ.

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية ٢٥/٧٩٨١ ـ ٧٩٨٢، إصدار مركز الشارقة للإبداع الفكري الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

(٤) انظر: كشاف الظنون ١/٦٥١ ـ ٦٥٢.

(٥) انظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراءه ص٦٥١. نقلاً عن الأوراد القادرية ص٢١ محمد سالم بواب، الطبعة الثانية دار الألباب دمشق ١٤١٣هـ.

وقد مضت هذه الطائفة وهي تخفف عن كاهلها شيئاً فشيئاً ما أثقلها به الشيخ عبد القادر من سلوك ومنهج للتربية، حتى اقتصر محور السلوك والعبادة في هذه الطريقة في الترديد الدائم والذكر المتصل لاسم (الله)[١]. وهذه الأذكار والأوراد والأحزاب التي نراها في جماعات القادرية المتناثرة في البلدان، والتي ينسب بعضها إلى الشيخ عبد القادر هي ليست من وضعه ويتضح ذلك بأمور:

أولاً: لما يلاحظ عليها من الاختلاف باختلاف المجموعات القادرية في أنحاء العالم الإسلامي.

الثاني: أن هذه الأوراد لا نجدها في كتب الشيخ عبد القادر الصحيحة النسبة إليه.

الثالث: ما تحويه أكثر هذه الأوراد مما يخالف ما كان عليه معتقد عبد القادر ومنهجه رحمه الله[٢].

هذا فضلاً عن حلقات الذكر التي تقام اليوم في الطريقة القادرية، مع ما يصاحبها من القصائد الملحنة بالألحان الخاصة ـ وربما مع الإيقاع الموسيقي ـ فلعلها مما وضعه الشيوخ الذين أتوا بعد الشيخ عبد القادر[٣].

فهو رحمه الله كان يقول: من كان ذاكراً لله ﷻ بقلبه فهو الذاكر، ومن لم يذكر بقلبه فليس بذاكر، اللسان غلام القلب وتبع له، وأسس طريقته على قواعد سبعة هي المجاهدة، والتوكل، وحسن الخلق والشكر والصبر، والرضا، والصدق)، فهي دعوة إلى مكارم الأخلاق والنأي عن السفاسف وحسن التعامل مع الخلق، والتصوف عنده لا يجيء بلبس الصوف، وتصفير الوجوه ولقلقة اللسان بحكايات الصالحين وتحريك الأصابع بالتسبيح، وإنما هو مجاهدة

(١) انظر: الحياة الروحية في الإسلام ص١٥٩ ـ ١٦٠.
(٢) انظر: موجز دائرة المعارف ٢٥/٧٩٨٢.، والشيخ عبد القادر وآراءه ص٦٣٦ وما بعدها.
(٣) انظر: الشيخ عبد القادر الإمام الزاهد ص٢٥٠.

وعمل وإخلاص[١].

وللطريقة القادرية انتشار واسع في أنحاء العالم الإسلامي، لاسيما في إفريقيا، ولعل مما ساعد في انتشارها مقاومتها للاستعمار الفرنسي في الشمال الإفريقي.

وقد تطورت الطريقة تطوراً خطيراً في المفهوم والمسلك والممارسة، إذ أصبحت لهم مواسم وأعياد خاصة تعرف ـ بالجلالة ـ تكون لذكرى عبد القادر تعقب المولد النبوي في ربيع الأول، وتستمر أربعة أيام، تقرأ فيها أذكار منصوبة لعبد القادر، وتقام حلقات للذكر تصاحبها آلات للعزف، بالإضافة إلى الاستغاثات الشركية والتوسلات الممنوعة والعبادات البدعية، والمفاهيم البعيدة عن الإسلام[٢].

* ب ـ الطريقة الرفاعية *

هي طائفة صوفية وقد يطلق عليها الأحمدية البطائحية وتنسب إلى الشيخ أحمد الرفاعي[٣]، والشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله لعله مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني، أسس مدرسة وأقام طريقاً وأصبح له أتباع ومريدون بقصد التربية والسلوك إلى تزكية النفوس، ولكن طريقة الرفاعية سرعان ما استجدت فيها المخالفات وظهر التطور السلبي بعده.

ذلك على الرغم من أن جل ما أُثر عن الرفاعي فيه الحض الشديد على

(١) انظر: المصدر نفسه ص٢٤٠ و٢٤٩، نقلاً عن الفتح الرباني المجلس ١٥، والمجلس ٢٥.
(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية ٢٥/٧٩٨٣ ـ ٧٩٨٨.
(٣) الرفاعي هو: أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة، المغربي البطائحي، شيخ الطائفة الأحمدية الرفاعية، توفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان وأنباء الزمان ١/١٧١ ـ ١٧٢، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، وسير أعلام النبلاء ٢١/٧٧ ـ ٨٠، والبداية والنهاية ١٦/٥٩٩ ـ ٥٦٠، وكتاب قلادة الجواهر هو مما أفرد في ترجمة أحمد الرفاعي وطريقته، والكتاب مرجع سابق ولاحق في البحث.

التمسك بالسنة والنهي عن البدعة[١].

بالإضافة إلى ما كان عليه في شخصه إذ كان: رجلاً صالحاً فقيهاً شافعي المذهب مشتغلاً بالعبادة[٢].

ويشير إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، في معرض نقاشه واستنكاره على أتباع الرفاعي فيقول: (وأما كشف الرؤوس وتفتيل الشعر، وحمل الحيات... إنما ابتدع... بعد موت الشيخ أحمد بمدة طويلة، ابتدعه طائفة انتسبت إليه)[٣].

فالرفاعية وأتباع الرفاعي لم يخلفوا شيخهم خيراً إذ لم يأخذوا وقتاً طويلاً للميل عن الطريق، فقد عاجلوا الزمان وفاجأوا المكان وأزعجوا السكان بغرائبهم، فها هو صاحب وفيات الأعيان وهو من شيخهم قريب الأوان، يقف شاهد عيان، يسجل عليهم ما اشتهروا به قائلاً: (والطائفة المعروفة بالرفاعية والبطائحية من الفقراء منسوبة إليه، ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية، والنزول إلى التنانير فيطفؤنها)[٤].

ولم تنته المائة السابعة من الهجرة إلا وقد شاع أمرها وعم خبرها وخطرها، وتميزت بأمور عرف بها أفرادها كـ: (طعن أنفسهم بالمدي، وأكل النار، وازدراد الأفاعي، وغير ذلك من الأمور العجيبة التي يفسرون قدرتهم على فعلها بأن النفس وقد ملك عليها ذكر الله كل سبيل تصبح في حالة غيبة)[٥].

وقد تزامن اشتهارهم بهذه الأمور مع عهد شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان له رحمه الله معهم مواقف ومناظرات، وقد ذكر بعضاً مما كان بينه وبينهم، والأمور التي استنكرها عليهم، كملابسة النار، والحيات، وإظهار الدم... وغير ذلك، وأن هذا ليس من باب العبادات والقربات في شيء، فضلاً عن أن يكون من

(١) انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٢٧٠. (٢) انظر: وفيات الأعيان ١/ ١٧١ ـ ١٧٢.
(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٩٤. (٤) وفيات الأعيان ١/ ١٧١ ـ ١٧٢.
(٥) الحياة الروحية في الإسلام ص١٥٩ ـ ١٦١.

قبيل الكرامات، بل هو من جنس صنيع أهل المخاريق والحيل[١].

ثم مضت الطريقة وهي تضيف إلى مسالكها لسالكيها ما يراه الشيوخ وكل ذلك أو جُلّه ينسب إلى الشيخ أحمد، ويأتي في مقدمته الصلوات، والأوراد الخاصة بالطريقة، وكذلك الآداب، وشروط التلقين للأوراد ومكانة هذا الطريق، وترتيب أوراده وخلواته، وتدرج السالك وترقيه، ومما نسب إليه من الصلوات والأوراد ما يلي[٢]:

حزب اسمه ـ حزب البركات ـ وفي آخره: (... والحمد لله رب العالمين، وعلى نية القبول لروح حضرة الرسول ولأرواح المشايخ الكرام وأهل الطريقة العلية الرفاعية وكافة أصحاب الطرق، ولقبول الدعاء ورد القضاء، ونجاح الأمور إصلاح القلوب)، ومنها حزب آخر يسمى ـ حزب الأسرار ـ وفيه: (اللهم بجاه أهل الجاه وبمحل أهل المحل وبحرمة أهل الحرمة، وبمن قلت له ألم نشرح لك صدرك، اشرح اللهم صدورنا.. اللهم إنا نسألك بالألف المعطوف وبالنقطة التي مبدأ الحروف وبباء البهاء، وبتاء التدقيق... إلخ) وهكذا مع جملة الحروف إلى اللام، ومن هذه الأحزاب ـ حزب السيف القاطع ـ وفيه: (... اللهم صل وسلم وبارك وشرف وعظم، بكل وقت من الأوقات، وساعة من الساعات ملء الأرضين والسماوات على سيد السادات وإمام القادات ورأس الكل في الحضرات، وعلى آله وأصحابه أصحاب الكمالات، وعلى المشايخ العارفين أرباب الحالات، والسلام على الفرد الأمجد القطب الغوث الأوحد، النائب عن حضرة رسول الله في ملك الله، والآمر بالله في سماوات الله وأرض الله... ونسأله أن يعطف علينا قلب صاحب الزمان، وأهل حاشيته الكرام الأعيان، جعلناهم وسيلتنا إلى الله في كل أمر حسن...)[٣].

قال عن هذا الورد الأخير: (وحلقته تجتمع في ليلة الجمعة وليلة الاثنين،

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٤٤٥ ـ ٤٩٦. (٢) انظر: قلادة الجواهر ص٢٨٢ ـ ٢٩٥.
(٣) انظر: قلادة الجواهر ٢٥٣ ـ ٢٧٠.

وأكابر هذه الطريقة يقرؤون ذلك كل صباح يومياً وكل مساء... وأن من داوم على قراءته لا يموت إلا غنياً بفضل الله ولا يغلبه عدو قط ويرجى له حسن الخاتمة ببركة رسول الله ﷺ وتشمله بركة الحضرة الرفاعية... ومن آدابها أن يستفيض المريد قراءة هذا الورد المذكور من روحانية الحضرة الشريفة الرفاعية، ويجعلها واسطة للاستفاضة من الحضرة النبوية المباركة...)[1].

ومن ذلك صلاة تسمى ـ جوهرة الأسرار ـ يقول ـ إن من داوم عليها فهي من أحسن الوسائل لنيل المعالي ومعاني الأسرار الخفية من جانب الحضرة النبوية، يقول فيها: (... **اللهم** صل وسلم وبارك على نورك الأسبق وصراطك المحقق الذي أبرزته رحمة شاملة لوجودك وأكرمته بشهودك واصطفيته لنبوتك... نقطة مركز الباء الدائرة الأولية وسر أسرار الألف القطبانية، الذي فتقت به رتق الوجود... فهو سرك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييت به الموجودات من معدن وحيوان ونبات قلب القلوب وروح الأرواح... القلم الأعلى والعرش المحيط، روح جسد الكونين وبرزخ البحرين...)[2].

وتعقب هذه الدعوات والأوراد والصلوات أمر يطول وليس هو الغرض في هذا الموضع ولكن يمكن الإشارة على وجه الإجمال إلى نقاط مهمة هي من سمات أذكار هذه الطريقة وأبرزها ما يلي:

١ ـ ضرورة استحضار المريد في خياله وشعوره وقلبه سلسلة أهل الحضرة الرفاعية وأرواحهم، لحصول البركة والاستمداد في بدء الذكر وجعلهم واسطة للاستمداد من الرسول ﷺ.

وهذا الشرط في ذاته نافذة غير شرعية، وبدعة شركية، وليس لها في المشروع نظير، والمستمد من خلالها هو أمر وراء ذلك، إذ هو قفز من تلك النافذة إلى خارج حدود الشرع.

٢ ـ الإكثار من التوسلات المحرمة والممنوعة، فهناك توسلات إلى الله

(١) المصدر نفسه ص٢٧١.
(٢) قلادة الجواهر ص٢٤٩ ـ ٢٥٠.

بمن لا يعرف من هم، وتوسلات بالحروف أو بنقط الحروف، وهذا مع ما فيه من كونه خلاف الشارع ففيه فلسفة وإغراب في موطن هو مكان للإفصاح بالحاجة وصدق التوجه إلى من بيده قضاؤها، وتوسلات أخرى بالأنبياء والصالحين بحقهم وحرمتهم وجاههم، وعن مثل هذا التوسل الأخير، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: قول القائل (أسألك بكذا) نوعان، فإن الباء قد تكون للقسم وقد تكون للسبب، فقد تكون قسماً به على الله، وقد تكون سؤالاً بسببه، **فأما الأول**: فالقسم بالمخلوقات لا يجوز على المخلوق فكيف على الخالق؟.

وأما الثاني: وهو السؤال المعظم كالسؤال بحق الأنبياء فهذا فيه نزاع،.. فنقول: قول السائل لله تعالى، أسألك بحق فلان من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم، أو بجاه فلان أو بحرمة فلان، يقتضي أن هؤلاء لهم عند الله جاه، وهذا صحيح فإن هؤلاء لهم عند الله منزلة وجاه وحرمة... ويقتضي أيضاً أن من اتبعهم واقتدى بهم فيما سن له الاقتداء بهم فيه كان سعيداً...، ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم مما يقتضي إجابة دعائه إذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك، بل جاههم ينفعه إذا اتبعهم وأطاعهم فيما أمروا به عن الله أو تأسى بهم فيما سنّوه للمؤمنين، وينفعه إذا دعوا له وشفعوا فيه، فأما إذا لم يكن منهم دعاء ولا شفاعة، ولا منه سبب يقتضي الإجابة، لم يكن متشفعاً بجاههم ولم يكن سؤاله بجاههم نافعاً له عند الله، بل يكون قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سبباً لنفعه، ولو قال الرجل لمطاع كبير: (أسألك بطاعة فلان لك، وبحبك له على طاعتك، وبجاهه عندك الذي أوجبته طاعته لك) ـ لكان ـ قد سأل بأمر أجنبي لا تعلق له به، فكذلك إحسان الله إلى هؤلاء المقربين ومحبته لهم، وتعظيمه لأقدارهم مع عبادتهم له وطاعتهم إياه ليس في ذلك ما يوجب إجابة دعاء من يسأل بهم، وإنما يوجب إجابة دعائه بسبب منه لطاعته لهم، ـ فيما أمر فيه بالطاعة ـ أو سبب منهم لشفاعتهم له، فإذا انتفى هذا وهذا فلا سبب[1].

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٥٥ ـ ٥٦، شيخ الإسلام ابن تيمية، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٠.

٣ ـ وفي أدعية الرفاعية إشارة إلى معتقد يشاطرون فيه الشيعة الإمامية وهو القول بالأئمة الإثني عشر، وإمام الوقت الغائب المنتظر، كما هو واضح في الدعاء السابق في قولهم: (الغوث الأوحد النائب عن حضرة رسول الله ﷺ) وفي قوله ـ اللهم عطف علينا قلب صاحب الزمان ـ والرفاعية تشارك الشيعة في غير هذا أيضاً[١].

وهي عقيدة تزيد في المساحة التي تحول بينهم وبين المنهج الصحيح، إلا أن مشكلة التائه ليست في المساحة، بقدر ما هي في فقد الطريق.

٤ ـ وفي أدعيتهم ما يشير إلى القول بأن محمداً ﷺ هو أصل الوجود وأوله وروحه وجوهره، وحقيقته، كما هو واضح في صلاة (جوهرة الأسرار المذكورة، وهذه العقيدة مع مصادمتها للحقيقة المقررة لأبوة آدم وكونه أول البشر في الخلقة، وأن تأخر محمد ﷺ في الخلقة لا ينافي علوه في الدرجة والقدر، كما الشأن بالنسبة لأمته ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢] فهي خير الأمم مع أنها آخر الأمم، ففوق مصادمة هذه الحقيقة، فإن هذه العقيدة تنكس فهم القائل بها حتى يقبل بأن محمداً ﷺ هو أصل لأبيه آدم وقبل هذا ومعه فهي تمهد للغلو في الرسول ﷺ بدعائه وطلب الأمور منه، ثم هي أرضية للقول بوحدة الوجود، كما يقول في صلاة (روح الطالب: اللهم صل على روح السر الكائن بسر الروح روح الطالب ومحل طلب أرباب المطالب... ملاذ الصلحاء، تجلي الحق بالوجوه والأنواع حقيقة التجلي... مدد الكل حقيقة الكل، سر الكل... الكل فالكل...)[٣].

٥ ـ ما ذكر من الإغراء والمبالغة لما يثاب به من دعا أو صلى بهذه الدعوات والصلوات كالاطلاع على العلوم الخفية، وحسن الخاتمة، وكونه لا يموت إلا غنياً وأنه لا يغلبه عدو أبداً إلى غير ذلك.

هذه النقاط هي مجمل ما تنطوي عليه أدعية وأوراد وصلوات الطريقة

(١) انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٢٧٠.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٠.
(٣) قلادة الجواهر ص٢٥٢.

الرفاعية، وأما بالنسبة للطريقة نفسها، فقد انتهى الأمر بها وبأهلها وما عرفت به إلى مجرد إظهار أصحابها للأحوال العجيبة والغريبة، وهو ما سجلوه على أنفسهم مع أسفهم على ذلك، يقول صاحب قلادة الجواهر: (وإني رأيت كثيراً ممن تصدر لمشيخة هذه الطريقة العلية الرفاعية، لا يعرفون أصولها ولا فروعها، ولا خلواتها ولا أورادها، وبسبب جهلهم ظن أكثر الناس أن هذه الطريقة العلية بلا أوراد، ولا سلوك، ولا خلوات، لأن تلك الفرقة التي ذكرناها غاية ما عرفوا في هذه الطريقة، اللعب بالنار، والدبوس، والحيات وغيرها، وادعوا أن هذه البراهين كرامات لهم، حاشا بل كل ذلك في الحقيقة من بركات أسرار حضرة صاحب الطريقة، قدس الله سره، وأن هذه الحماية والحفظ الذي يصدر من جانب فيض كرم الله من ضرر النار والسلاح والحيات هو سر ساري في جميع المنتسبين!! لخدمة طريقة هذا الغوث السيد قدس سره، وهي مروءة وغيرة منه على ستر الطريق خوفاً من فضيحة شرف الطريق بين العوام)[١].

فهو ينكر على هذه النوعية من المشايخ جهلهم بسلوك الطريقة وخلواتها وأورادها، لكنه يقرر أن جريان مثل هذه الخوارق على أيديهم هو من أسرار الطريقة، ومن كرامات صاحبها فهي تحصل لكل منتسب لهذه الطريقة.

* ج ـ الشاذلية *

طريقة صوفية منسوبة لأبي الحسن الشاذلي[٢]، وطريقة الشاذلي يقال أنها أسهل الطرق، لأنها لا تعتمد على كثرة المجاهدة ومقامات السلوك[٣].

(١) المصدر نفسه ص٢٨٠.
(٢) أبو الحسن الشاذلي هو: علي بن عبد الله بن عبد الجبار، وقيل بن عبد الحميد، الشاذلي شيخ الطريقة الشاذلية، الزاهد الكبير، صاحب الأحزاب العجيبة في التوحيد والفناء، ولد بمدينة غمارة وانتقل إلى تونس ثم إلى مصر، وإلى العراق، وقد حج مرات عديدة، ومات بصحراء عيذاب في طريقه للحج سنة ٦٥٦، انظر لترجمته: الأعلام ٤/ ٣٠٥، وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩، وكتاب أبي الحسن الشاذلي ص٤٧ مرجع سابق.
(٣) انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٢٧١،

وكل ما تميزت به الشاذلية كثرة الأحزاب وشهرتها، وأنها من وضع شيخ الطريقة نفسه، فلقد وضع الشيخ أبو الحسن رحمه الله أحزاباً كثيرة منها: حزب البحر، وحزب البر، وحزب النصر، وحزب اللطف، وحزب الخفاء، وحزب الفتح، وغير ذلك[١].

وحزبه المعروف بـ (حزب البحر، ويسمى أيضاً الحزب الصغير) من أشهر الأحزاب الصوفية، كتبه وهو في البحر في السنة التي استولى فيها المغول على بغداد، وحكي عنه أنه قال: لو تلي حزب البحر على بغداد لما سقطت[٢].

ومما يقوله في حزب البحر: (يا الله يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم، أنت ربي وعليك حسبي، فنعم الرب ربي، ونعم الحسب حسبي... نسألك العصمة في الحركات والسكنات، والكلمات والإرادات والخطرات، من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب، فقد ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، ليقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً... وسخِّر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى عليه السلام، وسخر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت، وبحر الدنيا وبحر الآخرة، وسخر لنا كل شيء يا من بيده كل شيء كهيعص كهيعص كهيعص، انصرنا فإنك خير الناصرين... ولو نشاء لطمسنا على أعينهم... وعنت الوجوه للحي القيوم... طس حم عسق مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، حم حم حم حم حم حم حم الأمر، وجاء النصر فعلينا لا ينصرون، حم تنزيل الكتاب... بسم الله بابنا، تبارك حيطاننا كهيعص كفايتنا....)[٣].

---

(١) انظر: كتاب أبي الحسن الشاذلي ص١٦٤، والفكر السامي ٢/٥٩، وكشاف الظنون ١/٦٥١ ـ ٦٥٢.

(٢) انظر: الشيخ أبي الحسن الشاذلي ص١٦٢ ـ ١٩٨، ودائر المعارف الإسلامية ٧/٣٦٩ ـ ٣٧٠.

(٣) ذكره ابن بطوطة في رحلته ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ ص١٥ ـ ١٧، دار الشروق العربي بيروت، دون مزيد بيان عن الطبعة، وانظر: الشيخ أبي الحسن الشاذلي ص١٧٦ ـ ١٧٨.

❖ الملاحظ على أحزاب الشاذلي:

والملاحظ على أحزاب الشاذلي بدءاً من حزب البحر، وفي جل أحزابه ما يلي:

١ ـ التصرف في الآيات القرآنية، وإدخالها مقطعة ومجزأة في ثنايا أدعيته، دون أن يتضح لها وجه تعلق بما وضعها فيه من مواضع غالباً.

٢ ـ أخذه للمقطعات من فواتح السور، ـ كحم وكهيعص الر ـ وغيرها، والإكثار من تردادها، وهي أصلاً من متشابه التأويل، ثم هو يوردها في أدعيته بحيث يكون المعنى أكثر غموضاً، مثل قوله ـ كهيعص كهيعص كهيعص انصرنا فإنك خير الناصرين.

٣ ـ استعماله للضمائر المطلقة في دعاء الله وندائه وكأنها مما يثنى به عليه سبحانه، كقوله: (يا من هو هو هو، يا هو يا هو يا هو)[١]، مع أن ما يتوجه به إلى الله إن كان ثناء فلا بد من أن يكون مما يفيد الثناء، وإن كان دعاء فلا بد من أن يبين المعنى ويفصح بالحاجة، وهذا ليس فيه من الأمرين شيء.

٤ ـ فـ: الاسم المفرد، مظهراً أو مضمراً ليس بكلام تام، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر، ولا أمر ولا نهي، ولا يعطي القلب معرفة مفيدة، وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً، والذكر بالاسم المضمر أبعد عن السنة[٢].

٥ ـ وفي أدعيتهم ما هو واضح العبارة، لكنه يحمل أو يحتمل معنى غير سليم، ومن ذلك قول الشاذلي في أحد أدعيته: (اللهم صلني باسمك العظيم الذي لا يضر معه شيء في الأرض ولا في السماء، وهب لي منه سراً لا تضر معه الذنوب شيئاً؟؟!.... وادرج أسمائي تحت أسمائك، وصفاتي تحت صفاتك، وأفعالي تحت أفعالك، درج السلامة وإسقاط الملامة؟؟!!...)[٣].

---

(١) انظر: المصدر نفسه ص١٧٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٢٢٦.

(٣) انظر: أبي الحسن الشاذلي ص١٦٥.

فهو يسأل الله أن يعطيه سراً لا تضر معه الذنوب، ولا أدري كيف سيكون حاله فيما لو خيل إليه أنه أعطي هذا السر، ثم هو يؤكد هذا الطلب مرة أخرى، حين يسأل إدراج صفاته تحت صفات الله وأفعاله تحت أفعاله، ثم تسقط الملامة فيها حتى لو كانت ذنوباً لأنها أصبحت مدرجة تحت فعل الله، وإدراج مكاسب العبد في فعل الله بحيث يتصور معه سقوط التبعة عن الإنسان هو فهم خاطئ، وفوق ذلك فهو يدفع إلى الاجتراء على المعاصي، ثم هو يمهد إلى القول بوحدة الوجود، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

* د ـ النقشبندية *

وهي فرقة صوفية، تنسب إلى الشيخ خواجه بهاء الدين النقشبندي[1].

والنقشبندية من الطرق المهمة، ظهرت في بلاد ما وراء النهر، والأطراف الشرقية لخراسان وظهورها كان في فارس، ونصوصها الأساسية وأورادها بالفارسية[2].

ويقول النقشبندية عن ماهية طريقتهم، هي: (بدوام العبودية بذكر الله تعالى على الإطلاق باتفاق أهل الطريق، والتبتل بقطع العلائق الظاهرة والباطنة بالانقطاع إلى الله عن الدنيا وأمورها، وعن الخلق... واختيار الخلوات كما كان حاله ﷺ أوائل أمره ينقطع عن الخلق في غار حراء ليتحنث لله...)[3].

والرسول ﷺ إنما كان منه التحنث قبل أن يأتيه الشرع ببيان أمور الدين، وبيان كيفية العبادة، فلما جاءه الهدى والنور أصبحت عبادته الصلاة والصيام

---

(١) بها الدين النقشبندي هو: محمد بن محمد البخاري الأويسي ولد سنة ٧١٧، وتوفي في ٧٩١، إليه ترجع السلسلة النقشبندية المنتشرة بالمشرق والروم، وما وراء النهر، وذكرت له كرامات وحكيت عنه أحوال عجيبة. انظر ترجمته في كتاب: المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية، محمد أمين كردي الإربلي، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٢٥، وانظر: الفكر السامي من تأريخ الفقه الإسلامي ٢/ ٥٩.

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية ٣٢/ ٩٩٦٠ ـ ٩٩٦٤.

(٣) جامع الأصول ص٩٨ ـ ٩٩، أحمد الكمشخانوي النقشبندي المجدد، المطبعة الميمنية مصطفى البابي الحلبي بمصر، دون مزيد بيان عن الطبعة.

والجهاد والصدقة وتربية الأمة والنصح لها، والتقرب إلى الله بالنوافل، وقيام الليل وغير ذلك، وأصحابه وأتباعه اقتفوا أثره فيما جاءه من الهدي، وما سار عليه من عمل، ولم يتحنثوا، ولم يتخذوا الاختلاء طريقة.

أما أهل التصوف فعلى العكس من ذلك، فهم لا يستهويهم ما جاء إلى محمد ﷺ من الشرع والهدى والنور، بقدر ما تستهويهم خلوته وتحنثه في غار حراء، فيقتدون به فيها لا لأنها عبادة، وهو رسول الله، ولكن رجاء أن يحصل لهم من هذه الوسيلة معرفة أو فتحاً أو كشفاً، ومن ثم الاستقاء من عالم الغيب استقلالاً دون الحاجة إلى وسيط.

يقول أحدهم بعد أن ذكر حال النبي ﷺ قبل البعثة وكيف كان يختلي ويتحنث يقول: هذه الحياة التي هداه الله لها... هي التي رسمت لنا الطريق إلى الله طريق الكشف، طريق الإلهام طريق البصيرة، بل طريق المشاهدة على ما يرى الصوفية... ـ ثم يقول ـ ... (ولا ريب أن معرفة تأتي عن طريق الإلهام، أو إذا شئت فعن طريق الألوهية هي معرفة لا يتطرق إليها الهدم ولا تنهار..)[1].

فهذه إذاً ليست ماهية النقشبندية وحدها وإنما هي ماهية جل أهل التصوف، مهما اختلفت الشارات، وألغزت الإشارات، وشطحت العبارات، وتباينت ألوان الخرق.

فالوسيلة هي: المجاهدة والتخلي مع استجماع قوى النفس واستنفاد طاقة الجسد الحسية، والغاية هي: الوصول إلى الإلهام، والمعرفة والكشف، وإزالة حجب الغيب، ومن يحرك يرى.

ثم يعود الكلام لاستكمال بعض ما عند الطريقة النقشبندية، والنقشبندية مع اتفاقهم مع بقية الطرق الصوفية في معظم آداب السلوك والذكر، إلا أن لهم

---

(١) أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام الغزالي ص٢٨٧ ـ ٢٩٩، عبد الحليم محمود، مطبوع مع المنقذ من الضلال للغزالي، دار الكتب الحديثة، طبع دار القصر بالقاهرة، الطبعة السادسة ١٩٦٨.

في ذلك الجديد المبتكر وهو في استغنائهم عن اللسان في الذكر، فهو يكون بالقلب ولكن يؤدى بطريقة خاصة ولهم لذلك مصطلح خاص، وهو الذكر الخفي، أو الوقوف القلبي، وتعريف هذا المصطلح وصورته كما يلي:

الذكر الخفي والوقوف القلبي عند النقشبندية وهو: (أن يجمع جميع حواسه البدنية ويقطع عنها جميع الشواغل، والخطرات القلبية، ويتوجه بجميع إدراكه إلى أواسط قلبه وعمقه متوجهاً إلى الرب المقدس..)[1].

وإذا سأل المستزيد، أصحاب العلم الجديد، عن كيفية الذكر بهذا الوقوف القلبي، قالوا وكيفيته: (أن تلقى جميع الشعور والإدراكات، إلى قعر القلب للوقوف التام، ثم تخرج النفس من الأنف بعنف إلى انتهاء النفس بقصد إخراج الخواطر والهواجس.. ثم يحبس النفس ثم يلاحظ لا - يعني من كلمة الشهادة - ويتخيله خطاً مستطيلاً من السرة إلى أم الدماغ، مع ملاحظة معناه، الذي هو النفي والإثبات، ثم يلاحظ لفظة، إله، فيجر الخط من أم الدماغ إلى رأس الكتف الأيمن، ويلاحظ المنفي بلا، المعبود، لو كان مبتدءً، أو جنس المقصود، لو كان متوسطاً، أو الموجود، لو كان منتهياً، - وإذا أراد المريد محاولة البدء للذكر بهذه الكيفية، يقول له السادة النقشبندية - هناك طريقان اسم الذات، أو النفي والإثبات، أما الأول فهو الأسهل والأقرب في حصول المقصود **وطريقة الذكر به** - أن يلتصق اللسان بسقف الحلق والفم، والأسنان بالأسنان، والشفة بالشفة، وينطلق النفس من حاله، ويتخيل في القلب تحت الثدي اليسار لفظة الجلالة بمعناها، أي الذات الإلهية ..... لكن يلاحظه بغير واسطة عبارة عربية، أو عبرية أو فارسية، حافظاً له في خياله وقلبه..)[2].

والمتأمل في هذه الكيفية وهذه الهيئة يرى العجب، ولعلي ألخص أبرز ما فيها فيما يلي:

١ - الشد النفسي والتهيؤ العصبي كخطوة أولى.

(١) جامع الأصول ص١٦ - ١٧.

(٢) المصدر نفسه ص١٧ - ٩٩ - ١٠٠.

٢ - إخراج النفس من الأنف بقوة مع توهم خروج الهواجس والخواطر بذلك.

٣ - ثم حبس النفَس من جديد كخطوة ثانية.

٤ - ثم تخيل - لا - كأنها خيط ممتد من سرته إلى أم دماغه.

٥ - ثم مع هذا الشد، والنفس المحبوس، والخيط الممتد، يلاحظ معنى النفي والإثبات.

٦ - ثم يجر الخط من أم الدماغ إلى رأس الكتف الأيمن، مع ملاحظة لفظة إله والمنفي يكون بحسب مقام الذاكر، فللمبتدئ لا إله معبود إلا الله، وللمتوسط لا إله مقصود إلا الله وللمنتهي لا إله موجود إلا الله.

٧ - وبالنسبة للفظ الجلالة يلاحظ المسمى بها من غير واسطة لغة، أي لغة كانت.

٨ - وفي كل هذه المراحل والتخيل والملاحظات ليس هناك نطق، فاللسان ملتصق بالحلق والشفة على الشفة، والأسنان على الأسنان.

ومع هذه العملية المتكلفة والشاقة نفسياً، وجسدياً وعصبياً، لعل مما يزيد العجب أن نعلم أن هناك أمور ثلاثة وهي[1]:

الأول: أن هذا الشد وطرد النفس وحبسه والتنقل بالخيال والتركيز بالملاحظة كل هذا يكون والعينان مغمضتان.

الثاني: ومع هذا على الذاكر تخيل الشيخ ذو الهيبة والسلطان الروحي صاحب الأسرار واقف أمامه وعلى رأسه.

الثالث: أن مقدار الورد الذي سيؤدى بهذه الكيفية ومع هذه الأحوال، أقله من اسم الجلالة للسالكين خمسة وعشرون ألفاً، في مدة يوم وليلة، ومن الأحسن أن يكون في جلسة واحدة.

وبعد هذه الملاحظات والوقفات أقول لعل هؤلاء القوم حملهم على هذا

(١) انظر: المصدر نفسه ص١٦ - ١٧.

الإغراب والمبالغة في هذه الآداب والأعداد أمران ربما لا ثالث لهما:

أولهما: علمهم بأن جموع السالكين والمريدين لا تستطيع الإتيان بهذا المطلوب التعجيزي في الهيئة والكيفية والعدد، فتضطر لنسب العجز والقصور إلى ذواتها وعدم صبرها، وتسلم بأن الشيوخ أرباب الأحوال هم وحدهم الذين استطاعوا تجاوز هذه العقبة وفعل ذلك.

وقد حاولت من قبيل التجربة في أداء ذكر اسم الجلالة ـ الله ـ بهذه الكيفية الأسطورية المتكلفة، مرة واحدة، ومع أنها من دون تخيل شيخ يقف على رأسي، وجدتها تحتاج إلى خمس ثوان على أقل الأحوال، ومعنى ذلك فإن العدد المطلوب وهو خمسة وعشرون ألفاً سيحتاج إلى أربع وثلاثين ساعة، ولا أدري أيعجب المرء من تلك الصفحات، التي أثقلت بهذا المداد، أم يأسف لتلك العقول التي غدت بدورها صفحات يعلق بها مثل هذا السواد.

الثاني: علم مشايخ الطرق، بأن من حمل على نفسه وأعصابه وقواه ومزاجه وأراد القيام بكامل ما شرطوا على ما وصفوا ورتبوا، فإنه لن يقارب من تمام ذلك، أو الوفاء به، إلا وقد أصبح حملاً وديعاً، سواء عليه أن يساق أو يسقى أو يعلف، ولعل مما يؤكد ذلك، هو في أن من يتسنى له الدخول إلى بعض الزوايا، التي يشرف عليها شيخ من شيوخ الطرق وينظر إلى من حوله من المريدين بتأمل فسيرى هؤلاء المساكين، فارغي البال، شاردي الذهن، غائبي العقول خائري القوى، شاحبي الأجسام، وهم دوماً مطرقو الرؤوس والشيخ وحده بعكس ذلك كله.

* هـ ـ البدوية *

وهي طائفة صوفية تنسب إلى أحمد البدوي(١)، والبدوي في سيرته كان

(١) أحمد البدوي هو: أحمد بن علي بن محمد بن أبي بكر البدوي، صاحب الشهرة في الديار المصرية، أصله من المغرب ولد بفاس سنة ٥٩٦، وطاف ببعض البلدان، وأقام بمكة والمدينة، ودخل مصر واستقر بها، وتوفي بطنطا سنة ٦٧٥، وقبره يزار ـ من قاصدي القبور ـ انظر: شذرات الذهب ٥/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦، وانظر: الأعلام ١/ ١٧٠.

رجلاً غريباً في أحواله ونواله كما يحكى صاحب شذرات الذهب في ترجمته: إنه كان من أعظم أولياء مصر، كان يمكث أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، صعد إلى السطح لا يفارقه أبداً اثنتي عشرة سنة، إذا جاءه الحال صاح صياحاً عظيماً، . . وكان لا يميط اللثام عن وجهه وقد ألح عليه رجل وأصر على أن يكشف له وجهه فكشف له فمات الرجل في الحال(١).

والناس منذ القدم إلا من رحم الله سريعو الافتتان بكل من كان غريباً في تصرفاته، ومثيراً في أحواله، ويخرج عن المألوف، وإلا فالرجل كان (في سلوكه من طبقة الدراويش الدنيا. . . وشخصيته ضئيلة القدر من الوجهتين العقلية والأدبية، وقد بقي من ثمار عقله شيء يسير يتمثل في بعض الأحزاب، وبعض الصلوات، وبعض الوصايا، وأتباعه ينتشرون في مصر، ويعرفون بالأحمدية(٢).

وإذا كان انتشار هذه الطائفة لا يكاد يجاوز مصر، فإن خطرها لا يكاد يجاوز افتتان أتباعها بشخص أحمد البدوي ومساحة قبره، فمما دأب عليه أتباع البدوي: الاحتفال بمولده سنوياً، مع ممارسة كثير من الخرافات والبدع العقدية، من دعاء، واستغاثة، بما فيه شرك صريح، إذ يتوجهون بذلك إلى البدوي(٣).

ومما أثر عن البدوي هاتان الصلاتان:

الأولى: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا شجرة الأصل النورانية، ولمعة القبضة الرحمانية، وأفضل الخليقة الإنسانية، وأشرف الصورة الجسمانية، ومعدن الأسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية، صاحب القبضة الأصلية، والبهجة السنية، والرتبة العلية، من اندرجت النبوات تحت لوائه، فهم منه وإليه، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلقت

(١) انظر: شذرات الذهب ٥/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية ٢/ ٤٧٤ ـ ٤٨٨.

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٢٧٠.

ورزقت وأمت وأحييت، إلى يوم تبعث من أفنيت وسلم....).

والثانية: اللهم صل على نور الأنوار، وسر الأسرار، وترياق الأغيار، ومفتاح باب اليسار، سيدنا محمد المختار، وآله الأطهار، وأصحابه الأخيار، عدد نعم الله وأفضاله.)[1].

وإذا كان البدوي قليل الإنتاج والغزيرة، فأتباعه أيضاً ليسوا أحسن حالاً، فلم يزيدوا على الغلو في شيخهم، وتهويل كراماته، وإقامة الموالد له، وعدم الانفكاك عن قبره، وإن كانت كثير من الطرق الصوفية تشاركهم مثل هذا الصنيع بمتبوعيها.

والصلاتان المنقولتان عن البدوي لا تخرجان في مضمونهما عن مضمون بقية الصلوات السابقة للرفاعي، أو الشاذلي، التي تبتدئ بالغلو في شخص الرسول ﷺ وطلب المدد والاستمداد منه، ثم تتدرج إلى إصباغ أوصاف الألوهية عليه ﷺ، ثم تنتهي إلى أنه أصل الوجود، ومنه الجود، وهو الكل، فالكل منه وبه كان.

❊ ❊ ❊

(١) أفضل الصلوات على سيد السادات ص٨٥ ـ ٨٦.

خلاصة هذه المرحلة

وخلاصة القول بعد هذا العرض الوجيز عن هذه الطرق الخمسة التي ظهرت خلال هذه المرحلة الثالثة ـ أي الواقعة من بداية المائة السادسة، وإلى نهاية المائة الثامنة، ومن خلال النظر إلى بعض أفكارها، ومجمل ما تدور فيه أذكارها، يتضح من ذلك كله أن هذه المرحلة هي الفترة الرئيسية في تطور الأذكار المبتدعة، ذلك لأنه قد استكمل فيها كل عناصره الأساسية المتممة لصورته من كل نواحي الابتداع، من جهة المصدرية، أو من جهة الهيئة والممارسة والكيفية، أو من جهة الآداب والأهداف، أو من جهة المضمون والمحتوى، إلى غير ذلك، في صورة واضحة المعالم محددة المسار لم يخرج منها إلى يوم الناس هذا، وإن تعددت الطرق وكثرت الأسماء، وتتلخص هذه الصورة فيما يلي:

١ ـ قيام طرق منظمة تنسب لأشخاص وتتميز بذكر خاص لكل منها.

٢ ـ وضع الأذكار والأحزاب من قبل الشيوخ، وتحديد الأعداد والهيئات، وشروط وآداب التلقين الخاصة.

٣ ـ التسابق في تحديد مزايا الأجور والفوائد للأذكار الخاصة.

٤ ـ ظهور ممارسات ألحقت بالذكر واعتبرت أنها حاصلة منه، وأنها كرامات للذاكرين كأكل النار والأفاعي واللعب بها وبالحديد، وغير ذلك.

٥ ـ حشو الأذكار بالرموز والمقطعات والطلاسم، والعدول إلى الضمائر.

٦ ـ تضمن الأذكار للأفكار الباطلة كوحدة الوجود، والاتحاد، من خلال فكرة الذكر المفني المؤدي إلى ذلك.

٧ - الغلو في الرسول ﷺ والقول بأنه أصل الوجود والكل منه، بالتصريح أو التلميح.

٨ - دخول الغناء والرقص واستعمال أدوات الإيقاع واعتبار ذلك من القرب والذكر.

٩ - ظهور من يلغي دور اللسان والبيان واللغة فيما سمي بالذكر الخفي والوقوف القلبي عند النقشبندية.

١٠ - تقديس الشيوخ، والغلو فيهم المتدرج من ذكر كراماتهم وقدرهم، إلى التوسل بهم والتماس المدد والفيض من جهتهم، ثم الاستغاثة بهم صراحة ودعائهم، واعتقاد تصرفهم في الحياة والأحياء، والأمر في ذلك سواء، إن كانوا أمواتاً أو أحياءً.

إلى غير ذلك مما شملته أو تضمنته أفكار وأذكار رواد هذه المرحلة وطرقهم، إذ لم يبقوا في شرعة الابتداع مساحة لمبتدع مجتهد.

❋ ❋ ❋

المطلب الثاني

المرحلة الرابعة من ٨٠٠هـ وإلى القرون المتأخرة

❖ مرحلة التفريع والتقليد:

بعد نهاية المائة الثامنة كان البيت الداخلي لمنتحلي مسلك الابتداع في الذكر، قد فرغ من ترتيبه، وتقررت قواعده، وعرف سلفاً الهدف من بنائه، ومن الذي يحوم حول فنائه، ولم يعد لمن أتى بعد هذا التأريخ، ورغب للتنكب لهدي المصطفى ﷺ في الذكر إلا أن يكون عالة على تلك النخالة التي تم عرض صورتها في المرحلة السابقة الممتدة من بداية القرن السادس وحتى نهاية الثامن، مرحلة الرواد شيوخ الطرق الرئيسية، ولم يعد بعد ذلك ثمة جديد يؤتى به.

فأصبح الأمر في القرن التاسع والعاشر قاصراً على مجرد التفريع والشروح والدفاع عن أفكار السابقين، وأخذت الطرق الصوفية في القرون المتأخرة خصوصاً منذ العصر العثماني في التدهور، واختلط الأمر على القوم، وانتشرت الفوضى بينهم، وانصرف أتباع هذه الطرق شيئاً فشيئاً إلى الرسوم والشكليات وسيطرت على جماهير المنتسبين إلى تلك الطرق الأوهام والمبالغة في التحدث بمناقب الأولياء وكراماتهم[1].

ولكن مع هذا التشتت والتدهور والفوضى ظلت الطرق تتكاثر، ومهما يكن من أمر فإنه (ليس من خلاف بين الطرق الصوفية من حيث المبادئ

---

(١) انظر: مدخل إلى التصوف الإسلامي ص٢٤٦، أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، دار الثقافة للنشر، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ القاهرة - والكلام يعتبر صورة صادقة من الداخل لأن التفتازاني من الحادبين على التصوف - وانظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٢٦٣ - ٢٦٤.

الأصيلة، وإنما الفرق في نوع الأذكار والأوراد التي يواظب عليها المريد من كل طريقة)[١].

والذكر كما كان في القرون السابقة ما يزال الدين والديدن، والمعول عليه، سيما في هذه المرحلة الأخيرة، مرحلة الإفلاس، يقول صاحب كتاب التصوف في مصر إبان العصر العثماني: (كان الذكر آثر العبادات عند أهل التصوف جميعاً إبان هذا العصر، وإذا كان الغزالي ـ في القرن الخامس ـ يقول إن تلاوة كتاب الله ليس بعدها عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله، ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إليه تعالى، فقد قام النزاع في العصر العثماني بين أهل التصوف بسبب المفاضلة بين ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز، فقال قائلهم: إن الذكر آثر للمريد، أما تلاوة القرآن فأفضل للكامل الذي عرف عظمة ربه.. ولا عبرة بما يراه البعض من إيثار تلاوة القرآن لأهل التصوف جميعاً، واتفقوا جميعاً على أن ذكر الله والاشتغال برياضة النفس، أفضل من الاشتغال بالعلم)[٢].

وليت هذا المفاضل على أنه ذكر، لو كان يشابه الذكر أو يقاربه، فهو ذكر: (تصحبه أغاني صوفية لا يفرق بينها وبين أغاني الحب في كثير من الأحيان، كما يصحبه الرقص والنقر على شتى أنواع الدفوف... أو بالذكر في الحضرة التي تعتمد بانتظام في الزاوية.... يوم الجمعة والتي يتعين على الدراويش جميعاً أن يؤموها... ولكل طريقة ذكر خاص بها أنشأه مؤسسها، وفرضه على أتباعه، ولكن هذا الذكر يجوز أن يعدله الشيخ أو المقدم بحسب ما يتراءى له)[٣].

وهكذا امتلأت ديار المسلمين منذ حوالي ألف عام بعناصر صوفية

(١) الصوفية معتقداً ومسلكاً ص١٩٠، نقلاً عن الفلسفة الإسلامية وملحقاتها ص٢٦٤.

(٢) التصوف في مصر إبان العصر العثماني ص٦٢ ـ ٦٣، توفيق الطويل، مكتبة الآداب، مطبعة الاعتماد نقلاً عن قواعد الصوفية ص٢٥، والعهود المحمدية ص١١، والبحر المورود ص١٠٣.

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية ٩/٣٨٨.

انضوت تحت مذاهب وطرق بعضها نقيض الآخر من حيث الممارسة وفن التعبير مما يسمى (بالطريق)... وأصبحوا نماذج إفساد في مجتمعاتهم، يمارسون الرقص في حلقات والتصفيق في مجموعات، وذلك هو ما ميز ملامح الطرق الصوفية على طوال مراحل التأريخ[١].

وهذا التردي الذي وصلت إليه الطرق الصوفية في القرون المتأخرة، أنف منه بعضٌ من أهل التصوف، واستهجنوا ممارسات كثير من الطرق، فها هو أحدهم ينقل نقداً لسابقين له في ذلك قولهم: ظنوا التصوف أذكاراً مشهورة، ومقامات مستورة، وخيالات مذكورة وأفكاراً مأثورة.. ـ ثم يعقب بقوله ـ كيف لو أدركوا متصوفة وقتنا هذا، الذين خربوا الدين باسم التصوف،... فالموالد وما أدراك ما الموالد، وما هي إلا فرصة للاستعراض، ومباءة لما يصيب القلوب من الأمراض.. يدقون الدفوف، ويقرعون الطبول، وبيد كل منهم حديدية كالسيف بها يصول، يأكلون النار والصبار والثعابين، فقل بربك ما الذي يعود بهذا على الدين... ويدعون أن هذه كرامات أمام الناس، وإن هذه وأيم الحق منتهى الإفلاس، ويقول الراسخون منهم هذه أسرار، وما هي إلا من أسباب النار، وعلم الله أن الدين بريء من هذه المساخر، ولا يرضى لأتباعه أن يشتغلوا بمضحكات المظاهر[٢].

هذه الصورة تكاد تكون شاملة لكل جماعات التصوف ومجموعاته، ولكن من حيث التفريع وظهور المسميات الجديدة ظلت الطرق في التكاثر، وإن كانت بالنظر إلى آحادها وأفرادها بمكان من الضآلة والضحالة، وليس لها ما تحمله من سمة اللهم إلا الاستقلال باسم وورد خاص، ويقل أن تجد بين هذه الطرق الكثيرة العدد المتعددة الأسماء في القرون المتأخرة ذات وزن وثقل، من جهة ما تتميز به مما يتبارى فيه القوم، ما تستحق معه أن تستثنى بالذكر لما لها من خطر، اللهم إلا التجانية التي سأفردها بشيء من التوضيح لما لها من خطر، وكونها أضافت جديداً وأتت بمزيد من الابتداع.

(١) دراسات في الفرق ص١٠٨ ـ ١٠٩.

(٢) انظر: نور التحقيق في صحة أعمال الطريق ص١٠٢ ـ ١٠٦، حامد إبراهيم محمد صقر الشاذلي.

التجانية

هي إحدى الطوائف الصوفية، وتنسب إلى أحمد التجاني[(١)]. وقد أخذ التجاني الطريقة القادرية، ثم انتقل إلى عدة طرق، ثم عنَّ له أن يتركها جميعاً وينشئ له طريقة جديدة خاصة به ففعل[(٢)].

والطائفة التجانية حملت على ظهرها جُل ما كان ينوء به الجسد الصوفي المترامي الأطراف في مساحتي الزمان والمكان، فلا تكاد تجد فكرة قيل بها في فترة ما، إلا وفي معتقد التجانية وكلامهم، كلها أو بعضها، تصريحاً أو تلميحاً.

فهم يقولون بوحدة الوجود، وبالفناء ووحدة الشهود، ويعتقدون في بعض مشايخهم أنهم يعلمون شيئاً من الغيب، إلى غير ذلك[(٣)].

ثم إنهم استصحبوا معهم خلاصة تجارب الطرق السابقة لهم، وأتوا بمزيد عليها وبجديد في الأفكار وفي فضائل الأذكار، مما كان قد ترك القول به من باب الحياء، فجاء شيخهم التجاني الجاني ليقول به.

ومن أبرز ما أتوا به من الأفكار ما يلي:

١ ـ اعتقادهم باللقيا بالرسول ﷺ يقظة والتلقي عنه.

(١) التجاني هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم التجاني، نسبة إلى بني توجين أخواله، ويزعم هو أن نسبه ينتهي إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، وأن الرسول ﷺ هو الذي أخبره بذلك يقظة. ولد في سنة ١١٥٠هـ ورحل إلى فاس ودرس بها ثم أخذ الطريقة القادرية، ثم انتقل إلى عدة طرق ورحل للحج، وقد توفي في سنة ١٢٣٠هـ، انظر ترجمته في: الأعلام ١/ ٢٣١، وجواهر المعاني في فيض أبي العباس التجاني ١/ ٢٦ ـ ٤٠، والتجانية لعلي الدخيل الله ص٤٠ ـ ٥٨.

(٢) انظر: التجانية ص٥٨.

(٣) انظر: المصدر نفسه ص٨٢ ـ ١٠٤.

٢ ـ اعتقادهم بأن لهم مزايا عن غيرهم يوم القيامة، من الأمن والإظلال، ودخول الجنة في الزمرة الأولى.

٣ ـ اعتقادهم بأن من رأى التجاني يدخل الجنة من غير حساب ولا عقاب.

إلى غير ذلك من المعتقدات، والأفكار، وأما بالنسبة للأذكار فحدث ولا حرج ومن ذلك:

١ ـ أنهم خصوا بصلاة الفاتح لما أغلق، وهي أفضل من كل ذكر وقع في الكون، ومن القرآن بستة آلاف مرة.

٢ ـ عندهم من الأذكار ما من فضائله أنه تمحى به الذنوب صغائرها وكبائرها، وذكر آخر لا تكتب على قائله السيئات، وذكر آخر يكفي أن يحمله المرء ليكون من الذاكرين ولو لم يذكر.

٣ ـ أن آخذ وردهم يدخل الجنة هو وأزواجه، وذريته المنفصلة عنه[(١)].

إلى غير ذلك، ولعل هذه النقاط وحدها كافية لتبين الشؤم الذي أقحم فيه التجاني نفسه، إذ فضلها على المصطفى ﷺ أكرم من مشى على الأرض وحملته على ظهرها قدم، فها هو يقول: (وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا ألا أنا وحدي)[(٢)].

والرسول ﷺ يقول لأحب الناس إليه ابنته فاطمة: «سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً»[(٣)]، ولم يشهد بالجنة إلا لنفر قليل من أصحابه مع أنهم آمنوا به ونصروه وجاهدوا معه، وهم الذين قام الدين على أكتافهم وبجهدهم وجهادهم بنيت دولته.

(١) انظر لجملة هذه الطوام: جواهر المعاني ١/ ٩٧ ـ ١٢٥، ٢/ ١٦٢ ـ ١٦٤، وص ٢٢٦ ـ ٢٢٨.

(٢) انظر: رماح حزب الرحيم ٢/ ١٤٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ برقم ٤٧٧١، وانظر: البخاري مع الفتح ٨/ ٣٦٠.

ثم إن التجاني يفضل أذكاره على كل ذكر وقع في الكون، بل ومن القرآن ستة آلاف مرة، فماذا أبقى هذا للإسلام ولنبي الإسلام، وفي ظني إن الذي حمل هذا التجاني على هذه المجازفة، أنه عندما أراد الإتيان بجديد لم يجد إلا هذه المساحة التي مَنع من كان قبله من ولوجها متبقي الحياء الذي كان عندهم، والله أعلى وأعلم ورضاه أولى.

* * *

سبب تعدد الطرق وتكاثرها

ما كان أمر تعدد الطرق وتكاثرها، ليحتاج إلى سبب وتعليل، وقد رأينا ونحن نتتبع تطور الفكر الصوفي، سيما في زعمهم، من أن طريقهم في المجاهدة والسلوك توصل بهم إلى الكشف، والتلقي عن عالم الأرواح من ملائكة وأنبياء وصالحين، بل إنهم قد يسمعون الخطاب من جهة رب الأرباب، كما سيتضح لاحقاً في مصادر الذكر البدعي.

فبعد فتح باب التلقي عن عالم الغيب، واستمراء أتباع المتصوفة لذلك وتشوفهم لبلوغه، وطالما قال شيوخ المتصوفة في مجالس الذكر لمريديهم: أن الذاكر يصير جليس الله تعالى فلا يعلم أحد قدر ما يتحفه الحق تعالى من العلوم والأسرار، لأنها حضرة لا يرد عليها أحد ويفارقها بغير مدد ـ ف ـ ماذا أتحفك وأعطاك في هذا المجلس؟ فإن قال: ما أعطاني شيء، قلنا له: وأنت الآخر لم تحضر معه شيئاً، فاتخذ شيئاً يزيل عنك الموانع المانعة لك من الحضور(١).

فكان الأمر بعد ذلك سهلاً لا سيما للراغب أن يقول شيئاً مما يتبارى فيه القوم، ويكفي بهذا أن يكون سبباً لظهور الفرق والطوائف.

يقول الدكتور أحمد غلوش: ليس من خلاف بين الطرق الصوفية، من حيث الأسس والمبادئ الأصيلة، وإنما الفرق في نوع الأذكار والأوراد، التي يواظب عليها المريد من كل طريقة منها ـ ف ـ قد يفتح الله تعالى على واحد منهم بطريق الإلهام، ويؤتى حظاً كبيراً من الأنوار القدسية فيكاشف بفائدة ذكر

(١) انظر: الأنوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية ١/٤٢.

اسم معين من أسماء الله الحسنى، فيكون ذلك سبباً لإنشاء طريقة جديدة مشتقة من طريقته القديمة، ومن ثم كان تعدد الطرق الصوفية على تقادم العصور[١].

وقد أصاب الجزء الأكبر من الحقيقة، وإن كان يؤخذ عليه تأثره إلى حد ما[٢]، في إقراره لهذه المكاشفة التي عرج عليها هكذا، دون أي تعليق.

وبهذا ننهي الكلام عن نشأة الذكر البدعي وتطوره، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: الصوفية معتقداً ومسلكاً ص١٩٠، نقلاً عن الفلسفة الإسلامية وملحقاتها، لرضا كحالة ص٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

الفصل الثالث

نماذج من الأذكار المبتدعة مع النقد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: من أذكار الصوفية مع النقد.

المبحث الثاني: من أذكار الرافضة مع النقد.

المبحث الثالث: من غير ما ذكر مع النقد.

المبحث الأول

نماذج من أذكار الصوفية مع النقد

لقد تعرض البحث لكثير من أذكار الصوفية المبْتَدَعة لا سيما في الفصلين السابقين، ولكن وفقاً لخطة البحث سأسوق هنا نماذج معينة من أذكارهم، تصب في فكرة واحدة وهي الغلو في الرسول ﷺ، ثم تتدرج به إلى جعله ﷺ أصلاً للوجود، ثم هو الوجود كله، مع اعتباره ﷺ مظهراً لله قد تجلى فيه سبحانه وتعالىٰ عما يقول الظالمون علواً كبيراً، والمحصلة هي وحدة الوجود، من خلال ما يعرف عندهم (بالحقيقة المحمدية)(١)، والنماذج هي:

١ ـ **النموذج الأول**: هو لحامل لواء القول بوحدة الوجود، ابن عربي(٢) في صلاة له على الرسول ﷺ يقول فيها: (اللهم أفض صلة صلواتك، وسلامة تسليماتك، على أول التعيينات المُفاضة من العماء الرباني، وآخر التنزلات

(١) الحقيقة المحمدية: هي الذات مع التعين الأول، وهو الاسم الأعظم. انظر: التعريفات للجرجاني ص٩٠.

(٢) ابن عربي: هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي ولد في مرسية سنة ٥٦٠ هـ ونشأ فيها، ثم ارتحل وطاف البلدان فجاء بلاد الشام والروم والمشرق ودخل بغداد، ثم ارتحل إلى مصر واتصل بأضرابه من الصوفية، وبدء بالكتابة والرسائل وظهر منه ما ينكر، وحكم عليه علماء مصر بكفره وإراقة دمه ولكن شفع فيه فعفي عنه، ثم رحل إلى مكة وجاور بها، وبدء تأليف كتابه الفتوحات المكية الذي اشتمل على مجمل المذهب الصوفي، وقد مرجه بمذهب وحدة الوجود. واختلف الناس في شأنه فذهبت طائفه إلى أنه زنديق، وقال آخرون إنه ولي ولكن يحرم النظر في كتبه، والصحيح أنه اتحادي خبيث، ولم يشتهر أمره وكتبه إلا بعد موته لأنه كان منقطعاً ولا يجتمع إلا بآحاد الناس، ثم تمادى ففضح أمره وهتك سره، مات سنة ٦٣٨هـ. انظر: شذرات الذهب ٥/١٩٠ ـ ٢٠٢، سير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣ وما بعدها، والبداية والنهاية ١٥٦/١٣.

المضافة إلى النوع الإنساني، المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثان إلى مدينة، وهو الآن على ما عليه كان محصي عوالم الحضرات الإلهية الخمس في وجوده... سر الهوية التي في كل شيء سارية وعن كل شيء مجردة وعارية... المظهر الأتم الجامع بين الربوبية والعبودية .... الفيض الأقدس الذاتي الذي تعينت به الأعيان واستعداداتها، والفيض المقدس الصفاتي الذي تكونت به الأكوان واستمداداتها، مطلع شمس الذات في سماء الأسماء والصفات، وواسطة التنزل من سماء الأزلية إلى أرض الأبدية، النسخة الصغرى التي تفرعت عنها الكبرى...) إلخ(١).

٢ ـ النموذج الثاني: صلاة على الرسول ﷺ منسوبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي ومعروفة عند الرفاعية (بجوهرة الأسرار) وقد سبق إيراد بعض منها عند الحديث عن الطريق الرفاعية في الفصل السابق من البحث، وهي: (اللهم صل وسلم وبارك على نورك الأسبق وصراطك المحقق..... نقطة مركز الباء الدائرة الأولية، وسر أسرار الألف القطبانية الذي فتقت به رتق الوجود، وخصصته بأشرف المقامات.... فهو سرك القديم الساري، وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييت به الموجودات من معدن وحيوان ونبات، قلب القلوب، وروح الأرواح، وأعلام الكلمات الطيبات، القلم الأعلى والعرش المحيط، روح جسد الكونين، وبرزخ البحرين وثاني اثنين، وفخر الكونين أبي القاسم أبي الطيب سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عبدك ونبيك وحبيبك ورسولك النبي الأمي...) إلخ(٢).

ومن صلوات الشيخ الرفاعي أيضاً هذه الصلاة المعروفة بـ روح الطالب ـ وهي: (بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على روح السر، الكائن بسر الروح، روح الطالب، ومحل طلب أرباب المطالب، ووراء رحمتك المبرقع بسر قولك وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين روح الوصول السالك بطريق القرب

(١) انظر: أفضل الصلوات على سيد السادات ص٨٨ ـ ٩٢.

(٢) قلادة الجواهر ص٢٤٩ ـ ٢٥٠.

الموصول بمدد الرب الموصل لمقام الحب المذكور، باب الأولياء ملاذ الصلحاء تجلي الحق بالوجوه والأنواع، حقيقة التجلي بالاتضاع والارتفاع روح الطالب روح السر، روح المعرفة روح العناية بهجة الكل مدد الكل حقيقة الكل، سر الكل، معرفة الكل، فالكل، لإجله كان وبه نظم فكان معنى الكل....) إلخ(١).

٣ ـ النموذج الثالث: صلاة على النبي ﷺ لأحمد بن إدريس شيخ الطريقة(٢) الإدريسية يقول فيها: (اللهم صل على طامة الحقائق الكبرى سر الخلوة الإلهية ليلة الإسراء، تاج المملكة الإلهية، ينبوع الحقائق الوجودية، بصر الوجود، وسر بصيرة الشهود، حق الحقيقة العينية، وهوية المشاهد الغيبية، تفصيل الإجمال الكلي، الآية الكبرى في التجلي والتدلي نفس الأنفاس الروحية، كلية الأجسام الصورية، عرش العروش الذاتية صورة الكمالات الرحمانية...) إلخ.

وفي صلاة أخرى له أيضاً يقول فيها: (اللهم صل على عين بحر الحقائق الوجودية المطلقة اللاهوتية، ومنبع الرقائق اللطيفة المقيدة الناسوتية، صورة الجمال، ومطلع الجلال مجلى الألوهية، وسر إطلاق الأحدية، عرش استواء الذات، وجه محاسن الصفات، مزيل برقع حجاب ظلمات اللبس بطلعة شمس حقائق كنه ذات الأنفس، عن وجه تجليات الكمال الإلهي الأقدس، كتاب مسطور، جمع أحدية الذات الحق، في رق منشور، تجليات الشؤون الإلهية الأقدس، كتاب مسطور، جمع أحدية الذات الحق، في رق منشور، تجليات الشؤون الإلهية المسمى كثرة صورها بالخلق، جانب طور الحقائق الروحية

(١) المصدر نفسه ص٢٥٢.

(٢) شيخ الطريقة الأحمدية: هو أحمد بن إدريس الحسني: أبو العباس، صاحب الطريقة الأحمدية المعروفة في المغرب ولد بفاس سنة ١١٧٢هـ، قرأ الفقه والتفسير والحديث، ثم انتقل إلى مكة وأقام بها نحو ثلاث سنين، ثم رحل إلى اليمن، فسكن صبيا إلى أن مات سنة ١٢٥٣هـ. أفرد بترجمة في كتاب المنتقى النفيس لصالح بن محمد الجعفري، مطبعة السعادة مصر، الطبعة الثالثة ١٩٧٥م. وانظر: الأعلام ١/ ٩٥.

الأيمن المكلم منه موسى للنفس، بأنا الله لا إله إلا أنا في حضرة القدس، يا كامل الذات يا جميل الصفات يا منتهى الغايات، يا نور الحق يا سراج العوالم، يا محمد يا أحمد يا أبا القاسم، جل كمالك أن يعبر عنه لسان، وعز جمالك أن يكون مدركاً لإنسان، وتعاظم جلالك أن يخطر في جنان، صلى الله ﷺ عليك وسلم يا رسول الله، يا مجلى الكمالات الإلهية الأعظم)[1].

والوقفة النقدية مع هذه النماذج تكون من خلال ما يأتي:

١ ـ أولاً: هي صلوات وأوراد من وضع وتأليف أفراد، سواء في ذلك إن كان تأليفها ممن نسبت إليهم أو من غيرهم، والنقد في هذه الناحية والملاحظة، هي بالنظر إلى معظم ألفاظ هذه الصلوات الغامضة، وبالنظر إلى مضامينها المخالفة لمضامين الشرع صراحة، وهذا ما يجعلها تخالف شروط ما ينشئه العبد من عنده من ذكر ودعاء، فهي بهذا تكون من الأذكار البدعية المحرمة، كما اتضح معنا في مبحث (ضوابط ما ينشئه العبد من عنده) في فصل الذكر الشرعي، ومبحث (كيف يكون الذكر بدعياً) في فصل الذكر البدعي.

٢ ـ ثانياً: بالنظر إلى مضمون هذه الصلوات أيضاً، نجدها قد احتوت على جملة من المضامين الخاطئة والخطيرة وهي:

أ ـ أن هذه الصلوات يقوم مدارها على النظرية الصوفية في أن النبي ﷺ هو أصل الوجود ولا يمكن فهمها وتفسيرها إلا من خلال ذلك، بل ما هو فوق ذلك من اعتقاد أن محمداً ﷺ مظهر تجلى فيه الله تجلي حقيقي، تعالى الله عن ذلك، والمتأمل لهذه الصلوات لا يجد صعوبة في إدراك ما تحمله من هذا المضمون الخطير، ولكن من باب أن الاعتراف سيد الأدلة أسوق هنا بياناً وشرحاً منهم حول ذلك، يقول صاحب كتاب النفحات الأقدسية: (فليس لمحمد ﷺ من محمد شيء، ولذلك كان نوراً ذاتياً، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾[2] ـ أي من هويته ـ (نور) ـ أي محمد ﷺ.... ولما

(١) انظر: أفضل الصلوات على سيد السادات ص١٦٦ ـ ١٦٩.
(٢) سورة المائدة: الآية ١٥.

كان ﷺ نور الله، أنزل تعالى في حقه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[1] فلم يطلق هذا الاسم ـ يعني الله!! ـ بطريق الصراحة إلا على محمد ﷺ، ولذلك قيل له: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ﴾[2] لأن القول قول الله بالأصالة، وقال تعالى في حق المستجير: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[3]، وما سمعه إلا من محمد ﷺ. فالبسملة نزلت على سليمان عليه السلام من باطن محمد ﷺ فكان سليمان ورسالته وخلافته وملكه الذي لا ينبغي لأحد من بعده مجلى من مجالي نور محمد ﷺ وصورة من صوره فما في الوجود إلا محمد ﷺ...... والحاصل أن معنى كونه سر الخلوة الإلهية ليلة الإسراء، اندراج كمالات الله تعالى بجميع أسمائه العلية وشؤونه الذاتية بالتحقيق العيني الذاتي في هيكل محمد ﷺ وجسمه البشري العنصري، وذلك عنوان جمعيته ما بين الظهور والبطون، والأولية والأخروية، والإطلاق والتقييد، والربوبية والعبودية[4].

والقلم وصاحبه هنا يكفيهما في المؤونة الاستغفار عن نقل هذا الكلام فضلاً من أن يقيما في وادي الهلكة بحجة النقد ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[5]، وخطورة هذا الأمر تتبين بمعرفة أن رفع المصطفى ﷺ فوق ما هو له من العبودية والنبوة والرسالة منهي عنه فيما هو أهون من هذه المعتقدات، كالقول بأقدمية كونه نبياً ﷺ قبل أن يوحى إليه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن قال إن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين، وإنما المعنى أن الله كتب نبوته فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم، وقبل نفخ الروح فيه كما أخبر أنه يكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته بعد خلق جسده[6].

ومن جانب آخر فقد يكون التلبيس من جهة كونه ﷺ نور: والحق أنه

(١) سورة الفتح: الآية ١٠. (٢) سورة الزمر: الآية ٥٣.
(٣) سورة التوبة: الآية ٦.
(٤) النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الإدريسية ص٩ وما بعدها، محمد بهاء الدين البيطار، دار الجيل بيروت، دون مزيد بيان عن الطبعة.
(٥) سورة الرعد: الآية ١٣. (٦) مجموع الفتاوى ٨/٢٨٣.

ليس معنى وصفه ﷺ بأنه نور، أنه مخلوق من نور كما يزعم الصوفية، وإنما معناه أنه ﷺ هاد لمن اتبعه، منير له طريق الهدى وسبيل الرشاد بإذنه[١] كما قال سبحانه: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴿٤٥﴾ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴿٤٦﴾﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾[٣]، على أن القصد هنا ليس هو التعرض للقضايا بقدر ما هو بيان أن هذه الأذكار تحمل أفكار ومعتقدات، وإذا علمنا ذلك سهل علينا معرفة ما يلمحون إليه أو يلغزون، ومعظم ما يدندنون حوله، يقول صاحب كتاب التصوف بين الحق والخلق: (نريد أن نفسر الغلو الذي يشهده كل من يقرأ ما مدح به الرسول ﷺ، ذلك الغلو الذي يقضي بأنه لولا محمد ﷺ ما ظهر شمس، ولا قمر، ولا نجوم، ولا أنهار، ولا بحار، ولا شجر، ولا مدر ولا جبال، نريد أن نبين كيف صح لقائل أن يقول:

لولاه ما كان أرض لا ولا أفق ... ولا زمان ولا خلق ولا جيل

ولا مناسك فيها للهدى شهب ... ولا ديار بها للوحي تنزيل

وكيف جاز للبوصيري[٤] أن يحكم بأن محمداً دان الأنبياء قبل أن يخلق في قوله:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضل هم كواكبها ... يظهرن أنوارها للناس في الظلم

وهذا الغلو لا يفهم إلا إذا عرفنا أنه يرجع إلى أصل من أصول التصوف، وهو القول بالحقيقة المحمدية، والحقيقة المحمدية هي العماد الذي

(١) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ص١٨٧.
(٢) سورة الأحزاب: الآيتان ٤٥ ـ ٤٦. (٣) سورة المائدة: الآية ١٥.
(٤) البوصيري: هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، نسبة إلى بوصير من قرى بني سويف بمصر، ولد سنة ٦٠٨هـ، شاعر أغلب شعره في مدح النبي ﷺ على طريقة الصوفية، ومن تلك القصائد البردة، توفي سنة ٦٩٦هـ. انظر: فوات الوفيات ٣/٣٦٢، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت.

قامت عليه قبة الوجود كما عبر ابن عربي، هي صلة الوصل بين الله والناس فهي القوة المدرة التي يصدر عنها كل شيء)[١].

وهذا الكلام مع ما فيه من الغلو الخطير في الرسول ﷺ الذي هو في غنى عنه، فهو يقوم على غض الطرف عن حقيقة أنه ﷺ نهى وحذر مما هو دون ذلك، كما قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»[٢].

وعلى هذا فهي دعوى عريضة تقوم على خلاف الدليل، وتتجه بمن يقول بها إلى ما هو أكثر شناعة القول بوحدة الوجود، في معادلة بسيطة، وهي في تجلي الله في محمد ﷺ وفيض الكون كله من محمد، وهذا هو الوجه الحقيقي للقول بالحقيقة المحمدية، التي قال بها ابن عربي، وهذا غير سبيل المؤمنين.

ب ـ ومن مضامين هذه الصلوات أنها تحتوي على الإشارة بأن ما يأتي من قبل الله من علم أو معرفة فهو بالفيض منه ﷺ، وليس المقصود بالعلم هنا ما جاء به ﷺ من الشرع وإنما المعني فيض مستمر كان قبل الرسالة ولا ينقطع بها ولا بموته ﷺ، وهذا كلام مؤسس على الهوى المطلق ليضيف من خلاله كل راغب إلى الدين ما يهوى، كما سيأتي ذلك في مصادر الذكر البدعي.

* * *

(١) التصوف بين الحق والخلق ص٧٩ ـ ٨٠، محمد فهر شقفة، الدار السلفية، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣.
(٢) الحديث أخرجه البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: واذكر في الكتاب مريم، برقم ٣٤٤٥، البخاري مع الفتح ٦/٥٥١.

المبحث الثاني

نماذج من أذكار الرافضة مع النقد

إن للشيعة الكثير من الأدعية والأذكار والصلوات على النبي ﷺ والصلوات على آل البيت وعلى الأئمة منهم، وهم يدندنون بهذه الأدعية والأذكار والصلوات إما جماعة أو خلف داع واحد، وهم يؤمّنون خلفه، وهذا مألوف منهم في أماكن ومواسم العبادات التي تجمعهم ببقية المسلمين، أو تلك الأمكنة والأزمنة التي خصوها فاختصوا بها، وسنقف مع نماذج من هذه الأدعية والصلوات من خلال نقاط معينة وهي:

الجانب الأول: وهو جانب النظرة العامة سيما ما يقرع الأسماع من بعض هذه الأدعية وعلى الأخص فيما يجمعهم مع بقية المسلمين كالحج مثلاً، حيث يوجد فيها الثناء على الله وتمجيده بما هو أهله من الكمال والجلال والعظمة، بأسمائه وصفاته وأفعاله سبحانه، وتحتوي على ذكر نعمه ومننه وأفضاله وجوده وكرمه، مع التذلل والانكسار، وإظهار الفقر والحوجة إليه، مع الاعتراف بالذنوب والحوب والتقصير، إلى جانب الرضا والتسليم، والإلحاح في المناجاة والابتهال والانطراح بين يديه سبحانه، كل ذلك في ألفاظ جميلة عذبة وسلسة تفيض رقة، تحمل في طيها معاني متجانسة ومتماسكة تلامس القلب وتهز النفس وتوقظ كامن الشعور، وبصوت مؤثر متوائم مع الدلالات.

ومن ذلك مثلاً هذا الدعاء: يا ذا العرش المجيد، يا ذا القول السديد، يا ذا الوعد والوعيد، يا من هو الولي الحميد، يا من هو فعال لما يريد، يا من هو قريب غير بعيد، يا من على كل شيء شهيد، يا من ليس بظلام للعبيد، يا من لا شريك له ولا وزير، يا من لا شبيه له ولا نظير، . . . يا مغني البائس الفقير، يا رازق الطفل الصغير، ويا راحم الشيخ الكبير، يا جابر العظم

الكسير، يا عصمة الخائف المستجير. . . . يا ذا الجود والنعم، يا ذا الفضل والكرم، يا خالق اللوح والقلم، . . . يا ملهم العرب والعجم، يا كاشف الضر والألم. . يا رب البيت والحرم، يا من خلق الأشياء من العدم. . . . إلخ.

وفي دعاء آخر يقول: . . . . واجعل لساني بذكرك لهجاً، وقلبي بحبك متيماً، ومُنَّ عليَّ بحسن إجابتك، وأقلني عثرتي، واغفر لي زلتي، فإنك قضيت على عبادك بعبادتك، وأمرتهم بدعائك وضمنت الإجابة، فإليك يا رب نصبت وجهي، وإليك يا رب مددت يدي، فبعزتك استجب لي دعائي وبلغني مناي، ولا تقطع من فضلك رجائي. . . يا سريع الرضا اغفر لمن لا يملك إلا الدعاء. . . يا من اسمه دواء، وذكره شفاء، وطاعته غنى، ارحم من رأس ماله الرجاء، وسلاحه البكاء، يا سابغ النعم، ويا دافع النقم، يا نور المستوحشين في الظلم، يا عالمًا لا يُعلم، صل على محمد وآل محمد. . . إلخ[1].

وهذا النوع هو بهذه الحال لو لم يؤخذ عليه الشكل الجماعي ربما لبقي في دائرة الاشتغال بالمفضول عن الفاضل، فما يعاب عليه إذاً هو الممارسة الجماعية والتقيد في رسوم معينة في الأداء، فهو وإن كان مشروعًا من جهة سلامة المعنى ووضوح العبارة، فهو مبتدع في ذات الوقت للأداء الجماعي الذي لم يكن من قبل الشارع، وعليه فهو يدخل ضمن البدعة الإضافية، ويكفيه هذا في الإثم.

الجانب الثاني: هو ما يتبين من خلال تمحيص لكثير من أذكار وأدعية وصلوات الرافضة، فإن محتواها فيه الكثير من الأمور المتفاوته في شدة الخطأ وتراكم الطوام ومن أبرزها:

١ ـ الملمح الأول: ما في بعضها من التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والسؤال، أو وصفه ﷺ بما هو لله، وصرف شيء مما لا يصرف إلا لله إليه ﷺ، كالدعاء والطلب ونداءه لكشف الكرب، وهذه أمور شركية، ونذكر هنا واحدًا من هذه الأذكار.

(١) وظائف الأبرار ص١٩٣ ـ ١٩٥ ـ ٢٦٨ ـ ٢٧٠، تأليف فرمان علي، الناشر كتب خانة اثنا عشري لاهور باكستان.

دعاء جاء في الصحيفة العلوية، منسوبا لعلي رضي الله عنه، يقول فيه: (ومن دعائه عليه السلام بعد السجود: أتوب إلى الله مائة مرة، بعد ركعتين ليلة الفطر أولياهما بعد الحمد يقرأ ألف مرة، وفي الثانية مرة واحدة: يا ذا المن والطَّول يا مصطفى محمداً ﷺ)[1].

٢ ـ **الملمح الثاني**: ما في بعضها من الغلو في آل البيت بوجه خاص، لا سيما علي رضي الله عنه، وهذا عام شائع في كثير من الأدعية والصلوات تبعًا لعقيدتهم في الإمامة وتنحلهم إلى آل البيت، وفي هذه العقيدة أمور غامضة، والواضح منها يكفي للحكم عليها، فهي تتجاوز مسألة الإمامة إلى العصمة، ثم القول باتصال المدد والفيض منهم، ولو مع غيبتهم، ثم إلى الإشراك فيهم وربما إلى التأليه الصريح، ومما يتضمن بعضاً من هذا مثلاً:

دعاء طويل جاء في ـ وظائف الأبرار ـ تحت عنوان (ناد علي كبير) يقول فيه: (ولي الله أدعوك كل هم وغم سينجلي بعظمتك يا الله، بنبوتك يا محمد ﷺ، بولايتك يا علي يا علي يا علي أدركني بحق لطفك الخفي، يا أبا الغيث أغثني، يا علي أدركني، يا قاهر العدو، يا والي الولي، يا مظهر العجائب، يا مرتضى علي، يا قهار تقهرت بالقهر، والقهر في قهر قهرك يا قهار، يا ذا البطش الشديد، أنت القاهر الجبار المهلك المنتقم القوي، الذي لا يطاق انتقامه، وأفوض أمري إلى الله)[2].

وهذا رفع لعلي إلى منزلة الربوبية والتأليه، والتوجه بالطلب والغوث والحماية منه لا من الله، زيادة على ما فيه من وصف علي بما لله من الأوصاف بل والأسماء ـ كالقاهر والجبار، المنتقم، والقوي، ذا البطش الشديد، المهلك، الذي لا يطاق انتقامه ـ ويكفي بهذا زيغاً وكفراً وإشراكاً وتحللاً، وليس ذكر الله أو إيراد اسم النبي ﷺ هنا إلا حشو للمرور إلى المبتغى عندهم.

---

(١) الصحيفة العلوية ص١٧٨. لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، المؤلف عبد الله بن صالح السماهيجي عن علي رضي الله عنه، دار التعارف للمطبوعات الطبعة الثالثة.

(٢) وظائف الأبرار ص٤٠ ـ ٤٤.

الملمح الثالث: هناك أوراد وأدعية عندهم فيها وصف لله بما لم يرد في الوحي وصفه به، بالإضافة إلى أن بعضه لا يحمل معنًى صحيحاً أو لا يفيد معنًى شرعياً، فمن ذلك ما جاء في أحد أدعيتهم وهو (دعائي مشلول) نداءات الله هكذا: (يا مفيد ـ يا نبيل ـ يا واصل ـ يا طاهر ـ يا شامخ ـ يا باذخ ـ يا نفاح ـ يا مرتاح ـ يا مبير)[1]، وهذا مسلك خاطئ ومزلق خطر وتجاوز للحظر.

٤ ـ **الملمح الرابع**: هناك أدعية تعبر عن حقدهم وضغينتهم على المسلمين من أهل السنة لا سيما الخليفتان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فهناك أدعية بسبهما ولعنهما أوقع الله اللعنة على لاعنيهما، كما تتضمن هذه الأدعية السب واللعن لمن يوالي هذين الخليفتين ومن يحبهما، إما بالتصريح أو التلميح، ومن ذلك هذا الدعاء المشهور عندهم:

(اللهم العن صنمي قريش وجِبْتَيها وطاغوتيها وإفكيها، وابنتيهما الذين أكلا أنعامك وجحدا آلائك وخالفا أمرك، وأنكرا وحيك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرفا كتابك وعطلا أحكامك...... اللهم العنهما وأنصارهما....) إلخ[2].

وهذا جرم يفضي بصاحبه إن كان عالماً إلى الكفر لأنه طعن في تزكية الله ونبيه ﷺ للخليفتين ومن أحبهم من المؤمنين، وهو قول يتضمن وصف النبي ﷺ بالكذب أو أنه كان وحاشاه جاهلاً بحال أصحابه، ومن كانوا حوله، وهذا من لوازم مذهب الشيعة، وهو الذي سيودي بهم إلى ما يستحقون.

٥ ـ **الملمح الخامس**: هناك أدعية تحتوي على ألفاظ غامضة وطلاسم لا يعرف معناها وأسماء غريبة، ولعلها أسماء للجن والشياطين، ومن هذا القبيل هذا الدعاء وهو منصوب لعلي رضي الله عنه، قال عنه في الصحيفة المسماة بالصحيفة العلوية: أنه يكتب ويشد على العضد الأيمن، وهو (بسم الله الرحمن الرحيم أي كشوش أركنوش أره شش عطبيطسفيخ يا مططرون قربالسيون ما وما سوما

---

(١) انظر: المصدر نفسه ص٢٧٤ ـ ٢٧٧.

(٢) انظر: الصحيفة العلوية ص٢٨٥، ووظائف الأبرار ص١٣٣ ـ ١٣٦.

طيطسا لوس حيطوس مسفقيس مسا معوش أمر طيعوش هذا هذا[1] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾[2].

وهذا النوع من الممنوع شرعاً أن يكون ضمن ما يتقرب به إلى الله من دعاء أو ذكر، وأما إذا كان المقصود به الجان ومردة الشياطين فهو شرك، وهو من قبيل صنيع أهل الجاهلية في تعوذهم بالجن والتجائهم إليه، ولا شك أن هذا من ذاك.

وقبل تجاوز هذا المقام فإن هناك ما لا بد من الإشارة إليه، وهو أن هذه الأذكار هي من وضع غلاة التشيع وأن آل البيت وعلى رأسهم علي رضي الله عنه هم منها براء، كبراءتهم من بقية ما عرفت به هذه الطائفة، وليس لهم أي سند لدعاويهم سواء في الأذكار أو غيرها.

* * *

---

(١) الصحيفة العلوية ص١٩٤.

(٢) سورة القصص: الآية ٤٤.

المبحث الثالث

نموذج لذكر مبتدع عند غير من ذكر مع النقد

المطلب الأول

الاحتفال بالمولد النبوي، تمهيد، وتاريخ ظهور

❖ سبب اختيار المولد للحديث عنه في هذا الموضع أمران:

١ - إفراد الكلام عن عمل المولد هنا مع أن الصوفية قد يكون لهم دور في ابتدائه، ومن دون شك في انتشاره وتبنيه، إلا أنه لم يعد قاصراً عليهم، كما أنه لم يعد بحاجة إلى تبنيهم فقد تبناه العامة والخاصة والموسرون في معظم أنحاء العالم الإسلامي منذ قرون، بل إنه في الفترات الأخيرة أصبحت تتبناه دول وحكومات، حتى أصبح مما عمت به البلوى فكان هذا الموضع هو الأنسب للكلام عليه.

٢ - إن الاحتفال بعمل المولد ليس من قبيل الأذكار المحضة فهو يتضمن أشياء كثيرة حتى إنه أصبح عيداً، وفيه كل ما يحتويه العيد، وزيادة، ذلك (لأن العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد إما بعود سنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك، فالعيد يجمع أموراً منها أنه عائد ومنها اجتماع فيه، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات وكل هذه قد يتسمى عيداً)[1].

والاحتفال بالمولد: المقصود به ما شاع في معظم ديار المسلمين ومجتمعاتهم، من الاجتماع والاحتفال، والتخصيص لأعمال وأمور وأقوال في

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص١٨٩.

يوم مولد النبي ﷺ في شهر ربيع الأول من كل عام، واتخاذ ذلك اليوم عيداً أشبه ما يكون بعيدي الفطر والأضحى في التخصيص والتكرار والهيئة وإظهار الفرح والسرور، بل ويزيد عليهما بما فيه من المدائح والأناشيد مما ليس فيهما، مظهرٌ ينشأ على مشاهدته الصغير، ويألفه الجاهل، ويراه العابر بديار المسلمين، وإذا عرف هذا، فهنا إشارة إلى أمرين مهمين وهما:

الأول: أن هذا العمل في مضمونه، وفي هيئته حادث، وله تأريخ معلوم بدأ فيه ظهوره، ولا خلاف في هذا.

الثاني: أن العبادات والأمور الموضوعة بالذات للقرب، بالصفة والهيئة والزمان والمكان والعدد لم يترك الشارع شيئاً منها لغيره وهي من حقه الخالص.

ذلك لأن (أعمال الخلق العبادية التي تتخذ ديناً ينتفع به في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة، الأصل فيها أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله، والمواسم المحدثة إنما نهي عنها لما حدث فيها من الدين الذي يتقرب به[1]).

وعليه فالكلام هنا سينحصر في ثلاثة نواحي وهي: تحديد ظهوره وتأريخ إحداثه، ووقفة مع القائلين بجوازه، ثم الحكم عليه.

❖ تأريخ ظهوره:

اتفق العلماء على أن عمل المولد ظهر متأخراً، إلا أن هناك خلاف على تحديد بدايته.

القول الأول: على أنه ظهر في عهد الدولة الفاطمية (العُبيدية) في مصر، مع جملة من الأعياد التي كانت عندهم[2].

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٦٩.

(٢) انظر: الخطط للمقريزي ١/٤٩٠، وصبح الأعشى للقلقشندي ٣/٤٩٨ ـ ٤٩٩، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.

القول الثاني: أن أول من احتفل بالمولد هو صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبوري ابن زين الدين[1]، وقد ذكر هذا أبو شامة في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، وابن كثير في «البداية والنهاية»[2].

وسواء كان حدوثه على يد الفاطميين (العبيديين)، أو على يد المظفر، فهو محدث وتأريخ حدوثه متأخر، وهذا هو المقصد.

❁ ❁ ❁

---

(١) صاحب إربل: هو السلطان الملك مظفر الدين، أبو سعيد كوكبوري بن علي بكتكين بن محمد التركماني كان أحد الأجواد والسادات، والملوك الأمجاد، له آثار حسنة، توفي سنة ٦٣٠هـ، انظر: البداية والنهاية ١٧/٢٠٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٣٤.

(٢) انظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص٢١، والبداية والنهاية ١٧/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

المطلب الثاني

وقفة مع من يرى عمل المولد

هناك من العلماء من يرى أنه لا بأس بعمل المولد، مع أنهم يقولون بأنه مبتدع وحادث، ولكنهم يقولون باستحسانه، ويستدلون بدليل واحد، وهو ما روي من حال رؤي فيها أبو لهب بعد موته، وأنه يخفف عنه كل يوم الاثنين لفرحه بميلاد محمد ﷺ وإعتاقه مولاته ثويبة لذلك.

إذا كان هذا كافراً ذمه — وتبَّت يداه في الجحيم مخلَّدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً — يخفَّف عنه للسرور بأحمدَ
فما الظن بالعبد الذي كان عمره — بأحمد مسروراً ومات موحِّدا[(١)]

ولا شيء غير هذا الاستدلال المتوقف على هذه الرؤيا التي كانت من العباس وهو لم يسلم بعد حين وقعت له هذه الرؤيا، ثم هو مخالف للأصل المقرر بقوله سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[(٢)]، وهذا الأصل العام لا يستثنى منه بلا نص على الخصوصية، ولا توجد هنا، ولو صح الحديث لسقط بهذا الأصل فكيف به وهو مرسل[(٣)].

وهؤلاء المحسنون لعمل المولد، يقوم تحسينهم له على ما يلي:

١ ـ ينصون على أنه مبتدع وحادث.

٢ ـ والذي يحسِّنون عمله في المولد شيء معين.

(١) انظر: التأدب مع الرسول ﷺ ص٣٠١ ـ ٣٠٢، نقلاً عن مورد الصادي في مولد الهادي ص١٤.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٣.
(٣) انظر: التأدب مع الرسول ﷺ ٣٠١ ـ ٣٠٢.

٣ ـ هم يشترطون خلوه من الاشتمال على المفاسد.

يقول أبو شامة: (ومن أحسن ما ابتدع في زماننا... ما كان يفعل.... في كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبي ﷺ من الصدقات والمعروف، وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبة النبي ﷺ، وتعظيمه)[(١)]، ويزيد ابن حجر العسقلاني هذا المعنى وضوحاً مع اشتراط الخلو من المفاسد فيقول: (أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرَّى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا)[(٢)].

أما الفريق الذي يرى منع عمل المولد وأنه بدعة بكل الأحوال، فذلك: لأنه لم ينقل عن أحد من السلف فضلاً عن أن يقوم له دليل، والدين في الاتباع لا في الاستحسان[(٣)].

وعلى هذا فعمل المولد لا يستحسن بحال، سواء خلا من المفاسد أو لم يخل منها، لأن العمل نفسه غير مشروع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له، وعدم المانع منه، ولو كان خيراً لكان السلف أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً منَّا له[(٤)].

ويقول صاحب المدخل: وهذه المفاسد مركبة على عمل المولد، إذا عمل بالسماع، فإن خلا منه وعمل طعاماً فقط ونوى به المولد، ودعا إليه الإخوان، وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط[(٥)].

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص٢١.
(٢) انظر: الحاوي للفتاوي ١/١٦٩.
(٣) انظر: المورد في حكم المولد ١/٨ ـ ٩، لأبي حفص تاج الدين الفاكهاني، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد، رسالة ضمن مجموعة رسائل في حكم الاحتفال بالمولد، مطبوعة تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، واقتضاء الصراط المستقيم ص٢٩٤.
(٤) المصدر نفسه ص٢٩٤ ـ ٢٩٥. (٥) المدخل ٢/١٠.

المطلب الثالث

الوقفة الأخيرة حكم الاحتفال بالمولد

بناء على مما تقرر من القولين من كون أصل عمل المولد بدعة ومحدث، تبين أن عمله قائم على غير الاتباع، وهذه مقدمة، وأرضية مشتركة للحكم.

وأما تعظيم النبي ﷺ وهو فوق المراء والنقاش، إذ (هو أحق الخلق بكل تعظيم، إلا أنه ليس من التعظيم الحق له أن نبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تبديل، أو تغير لأجل تعظيمه به، وحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين)[1] وهذه نقطة يجب وضوحها، لنقترب بعدها من حكم هذا الاحتفال أكثر.

ثم الحكم عليه يكون من خلال صورتين:

الصورة الأولى: ما عليه المشاهد من فعله، وما يخالطه من مجموع المفاسد، كالمغاني وآلات الطرب، والرقص، والاختلاط، والإسراف.. إلخ، وهو إن خلا من واحدة من هذه الأمور فلا يكاد يخلو من الباقي.

وهو بهذه الصورة محرم بالإجماع، عند فريقي الاستحسان والمنع، فعند فريق المنع لأصل الابتداع فيه، وزيادة هذه المفاسد على ذلك، وعند فريق الإباحة لأجل هذه المفاسد أو بعضها، وليس هذا محل النزاع بين الفريقين ولا غيرهم[2].

الصورة الثانية: وهي حال خلو الاحتفال بالمولد من هذه المفاسد، وهي الصورة المستحسنة عند الفريق الأول.

(١) من كلام رشيد رضا ﷺ، نقلاً عن رسالة للشيخ محمد بن إبراهيم، في إنكار الاحتفال ١/٢٩، ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد السابق ذكره قريباً.

(٢) انظر: التأدب مع الرسول ﷺ ص٢٩٣.

وهو لا يخرج معها عن أصل البدعة كما يقول صاحب المدخل[1].

إلا أننا لنصل إلى الحكم عليه سوياً في هذه الصورة أيضاً نقول: هلموا ننظر هل فعل المولد واجب، أو مندوب، أو مباح؟ فهو ليس بواجب إجماعاً، ولا مندوب لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة، ولا التابعون، ولا جائزاً أن يكون مباحاً لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين[2].

وعلى هذا فإن فاعل المولد يقف على أرضية الابتداع، وإن أقام له سقفاً فلا مستند له من الشارع حتى لو كان خالياً من المفاسد، فإن المُحتَفل بمولده ﷺ يقول: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[3]، ويقول: «كل بدعة ضلالة»[4]، ونحن قد قررنا معاً بأن المولد مبتدع وحادث، ولم يكن من عمل السلف، وأما حين تضاف المفاسد إلى عمل المولد، ويكون ظلاماً على ظلام، وتحفُّه الطوامّ، وتؤمُّه العوام، ولا يفرح به إلا الطغام محبي الشهوة والطعام، فهذا ما لا يجيزه أحد من علماء الإسلام، بمن فيهم محسِّنو البدعة، وهذا هو الغالب في الاحتفالات التي نشاهدها في ديار المسلمين الآن، بل إن فيها ما هو أدهى من ذلك وأمر.

لأن غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغاني والمعازف... وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك، وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ... ودعائه والاستغاثة به وطلب المدد منه، واعتقاد أنه يعلم الغيب، ونحو ذلك[5].

(١) انظر: المدخل ٢/١٠.

(٢) المورد في حكم المولد للفاكهاني ١/٩ ـ ١٠.

(٣) الحديث سبق تخريجه، انظر: ص٣٧.

(٤) الحديث سبق تخريجه، انظر: ص٤١.

(٥) حكم الاحتفال بالمولد النبوي ١/٥٧ للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مطبوع ضمن مجموعة الرسائل في حكم الاحتفال بالمولد مرجع سابق.

وعليه فالخلاصة في حكم الاحتفال بالمولد:

هو عمل محدث في الدين، وذلك لبدعية نية القيام بفعله، فضلاً عن الشروع فيه، على أنه لا يتصور خلوه من تلك المفاسد الكثيرة التي تحف به غالباً، والتي تجعله موغلاً في الحرمة: لاشتماله على المفاسد من الأغاني والطرب، والاختلاط والإسراف والسهر، أو تكون فيه المدائح الغالية المتضمنة للشركيات، أو برفع الرسول ﷺ إلى ما ليس له من الصفات.

(وهذه المفاسد ـ غالباً ـ مركبة على عمل المولد)[1]، فعمل المولد لا يجوز بأصله ولا بوصفه، وبهذا نكتفي في هذا المبحث، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: المدخل ٢/١٠.

الفصل الرابع

آثار الذكر البدعي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر الذكر البدعي في حق الله ﷻ.

المبحث الثاني: أثر الذكر البدعي في حق الرسول ﷺ والرسالة.

المبحث الثالث: أثر الذكر البدعي في حق الأمة.

المبحث الأول

أثر الذكر البدعي في حق الله ﷻ

المطلب الأول

أثر الذكر البدعي في حق الله من التوحيد العلمي الخبري، وما يتعلق بذاته وصفاته سبحانه

إن المبتدعة ما قدروا الله حقّ قدره في ذكرهم، وذلك لأمور:

١ - اعتبارهم بأنّ الذكر يوصل للكشف، ورفع الحجب[١]، والتلقّي عن الله، والله سبحانه يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[٢]، وهذه الطرق الثلاثة للتلقّي عن الله خاصة بالأنبياء والرسل ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٣]، وإذا كان الكفار لم يقدروا قدر الله فيما حكى عنهم سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[٤]، فهؤلاء على العكس لم يقدروا قدره حين قالوا: يمكن الوصول إليه، والتّلقّي عنه بما هو أهون من ذلك، ومن غير طريق الأنبياء[٥].

(وَجَلَّ جناب الحق أن يكون شريعة لكل وارد)[٦].

---

(١) انظر: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية للشعراني ١/ ٤٣، وانظر في فصل الذكر البدعي: المبحث الثاني المطلب الثالث ص٢٤٩.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥١.

(٣) سورة الجنّ: الآيتان ٢٦ - ٢٧.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(٥) انظر: فصل مصادر الذكر البدعي ص٣٨٣، وما بعدها.

(٦) الكلام لابن سيناء في الإشارات والتنبيهات نقلاً عن نظرية الاتصال عند الصوفية ص١٩٦، شاكرة بنت جلوي، دار المنارة جدة، ط١٤١١هـ.

٢ ـ قولهم بأنّ الذكر الحقيقي هو المفني في المذكور، وتجاوزوا فناء الشعور إلى فناء الذات في الذات حتّى قالوا: (فما ثم موصول ولا ثم واصل)[١]. ولم يذكر المذكور إلاّ نفسه فكان القول بالحلول، والاتّحاد.

وهذا مع ما فيه من زنْدقة، وكفر، وتحلُّل من الشريعة، فهو تعدٍّ في حقّ الله ذاتاً حين يكون كلّ شيء هو الله، أو أنْ يَحِلَّ في غيره ـ سبحانه ـ أو يتّحد معه غيره، وتعد في جانب الصفات، إذْ إنّ هذا كلَّه ممّا يتبرّأ عنه الله، ويتنزه، ويتقدّس ـ سبحانه، ولا يليق به، قال القاضي عياض ﵀: (وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص، كقول بعض المتصوفة والباطنية، فذلك كله كفر بإجماع المسلمين)[٢].

٣ ـ اعتقادهم في حقيقة الرسول ﷺ حين يمدحونه أو يدعونه ويتوسلون إليه أو به على أنه مظهر لله يتجلى فيه حقيقة في الذات والأسماء والصفات، تعالى الله عن ذلك.

يقول في النفحات القدسية: والحاصل أن معنى ﷺ سر الخلوة الإلهية ليلة الإسراء اندراج كمالات الله بجميع أسمائه العلية وشؤونه الذاتية بالتحقيق العيني الذاتي في هيكل محمد ﷺ وجسمه البشري العنصري، وذلك عنوان جمعيته ما بين الظهور والبطون والأولية والأخروية والإطلاق والتقييد والربوبية والعبودية[٣]. وقد أوردت هذا الكلام في الفصل السابق، في مبحث نماذج من أذكار الصوفية.

٤ ـ تعدي المبتدعة في أذكارهم في تسمية سبحانه بما لم يردْ به النصُّ،

(١) انظر: فصل الذكر البدعي، المبحث الثاني، المطلب الرابع ص٢٥٢، وجواهر المعاني ١/ ١٦٠.

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٢٨٣، للقاضي عياض، دار الفكر للطباعة والنشر الطبعة الأخيرة ١٤٠٥هـ.

(٣) النفحات القدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية ص٩ ـ ١١. محمد بهاء الدين البيطار، دار الجيل ببيروت، وانظر: مبحث نماذج من أذكار الصوفية مع النقد ص٣٤٥.

أو وصفه بما لا يليق به أو ذكره بما لا يفيد ثناءً، أو مدحاً كالاسم المفرد أو الضمائر، أو بما لا يتميّز فيه ذكره عن العبث في الذكر، كالحروف التي لا تفيد اسمًا ولا ضميرًا كـ (ها ها ها، أو آه آه أو آ آ، أو هـ هـ..) إلخ، أو بما يحتمل الاعتداء في أسمائه، أو الإشراك معه، كذكر بعض الكلمات المطلسمة، والأسماء الأعجميّة، فإنْ قصد بها الله سبحانه، فهو اعتداء في أسمائه سبحانه وإن قصد بها غيرَه فهي شرك، فقد تكون أسماء جانّ، أو حتّى ملائكة بصرف الذكر أو الدعاء لهم[١].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: فصل نماذج من الأذكار المبتدعة مع النقد مطلب نماذج من أذكار الرافضة من هذا البحث ص٣٥٢، والأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ١/ ٣٩.

المطلب الثاني

مناقضة الذكر البدعي لتوحيد الله بالعبادة

١ ـ شروط أهل البدع في آداب مُتلقّي الأوراد، فيها طلبُ الذلّ، والخضوع لهم والخوف منهم، ومراقبتهم بالقلب والشعور والفناء فيهم قبل الفناء في الله، وعدم الاعتراض عليهم حتّى فيما يخالف شرع الله.. إلخ، وهذه هي أركان العبادة التي لا يستحقها إلَّا الله سبحانه، ولا تُصرَفُ لغيره[١].

قال في جامع الأصول: أما آداب الذكر فتقديم الطهارة عن الحدث والخبث وصلاة ركعتين.... فإذا فرغ جلس متوركاً عند النقشبندية، وهيئة التشهد عند السائر... ثم يغمض عينيه، ويلاحظ نفسه كأنه مات، ثم يتوسل بمرشده ليشفع له عند ربه، (وهذا توسل محرم) ويلاحظ كأنه ناظر إلى المرشد بين عينيه، إما بالرؤية إن كان من أهلها أو بالإيقان والوجدان... ثم يشتغل بالوقوف القلبي[٢].

٢ ـ أذكارهم وأدعيتهم المتضمّنة لتمجيد غير الله، وتعظيمهم فيما لا يكون لغير الله سواء كانوا أنبياء أو أولياء، أو بتضمّنها دعاؤهم، أو سؤالهم، أو الاستغاثة بهم، وهذا كثير، وهذه أمور شركيّة. فالدعاء والسؤال، والاستغاثة لا تكون إلاّ بالله سبحانه.

(١) انظر: المطلب الثامن من مبحث مفهوم الذكر عند المبتدعة، فصل الذكر البدعي ص٢٨١، وما بعدها.

(٢) جامع الأصول ص١٦ ـ ١٧، أحمد الكمشخانوي النقشبندي، المطبعة الميمنية لمصطفى البابي الحلبي وأخويه بمصر دون مزيد بيان عن الطبعة، وانظر: المطلب الثامن المشار إليه من مبحث مفهوم الذكر عند المبتدعة.

ومن ذلك دعاء الرفاعية المسمى «بورد الفيوضات» جاء فيه: يا سيدي يا رسول الله، يا سندي ويا ملاذي وذخري، أنت تكفيني، لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، يا صاحب الوقت يا غوث الزمان، ويا خلاصة الأنبياء يا جوهر الكون، شفيعنا محمد... يا مصطفى شيء لله يا سرًّا من سر الله، يا مصطفى شيء الله، يا متجلي ارحم ذلي، يا متعالي أصلح حالي.

يـا رسـول الله غـوثـاً ومـدد يا رسول الله عليك المعتمد[١]

* * *

(١) قلادة الجواهر ص٢٦٠ ـ ٢٦٣.

المبحث الثاني

أثر الذكر البدعي في حق الرسول ﷺ والرسالة

المطلب الأول

أثر الذكر البدعي في حقّ الرسول ﷺ

❖ من آثار الذكر البدعيّ في حقّ الرسول ﷺ:

١ ـ يقول الله سبحانه لنبيّه عليه الصلاة والسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ . . .﴾[١].

والرسول يقول في أعظم مَحفل يجتمع فيه المسلمون عامتهم وخاصتهم عامَ حجّة الوداع: «وأنتم تسألون عنّي فما أنتم قائلون؟ فيقولون نشهد أنّك بلّغْت الرسالة، وأدّيت الأمانة، فيقول: ألا هل بلغت اللهمّ فاشهد»[٢]، ثمّ يأتي هؤلاء ليقولوا إنّ الرسول ﷺ خصّ الخاصّة بما لم يبلغه العامّة من التلقين، أو لقّن التلقين الخاص لفلان دون غيره، أو أنّه خبأ لأحد المتأخرين ذكراً خاصاً ولفلان صلاة لم يعرفها من كان قبله، وهذا كلّه على ما فيه من فِرْية، فهو يتضمّن الطعن في إبلاغ الرسول ﷺ للرسالة، وفي أدائه للأمانة، بل وفي نُصحه للأمّة وحاشاه عن ذلك بالأبّ هو والأمّ، والنفس، والولد.

يقول شيخ الطريقة الأحمدية أن الرسول ﷺ قال له مرة: لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد، ما وسعه علم الله، خزنتها لك يا أحمد ما سبقك إليها أحد[٣].

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.
(٢) الحديث سبق تخريجه في ص٢٠، ٢١.
(٣) أفضل الصلوات على سيد السادات ص١٧٢.

بل إنهم يقررون بأن النبي ﷺ كان يخص من شاء، بما يشاء مما لا يعلم به غيره، وهو في ذلك في حياته وبعد موته سواء، يقول صاحب جواهر المعاني عن شيخه في ثواب صلاة الفاتح، وسألته ﷺ: هل خبر خير الوجود ﷺ بعد موته كحياته سواء؟ فأجاب. . . الأمر العام الذي يأتيه عامًّا للأمة طوي بساط ذلك بموته ﷺ، وبقي الأمر الخاص الذي كان يلقيه للخاص فإن ذلك في حياته وبعد موته دائماً لا ينقطع[١].

٢ ـ يقول الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[٢]، وهو ﷻ سيسأل يوم القيامة، كل من صُرِفَ له شيءٌ من العبادة، ولو لم يَكن ذلك بطلبه أو لم يكن له علمٌ به، كما في شأن عيسى عليه السلام، يقول سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠﴾[٤]، والنبيّ ﷺ لخشيته من هذا الموقف يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنّما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله»[٥]، وقد أمره الله سبحانه أن يقول: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ . . .﴾[٦].

وقد أتى هؤلاء من الأذكار والدعوات والصلوات، ما يتضمّن صرف كثير من حقوق الله إليه كعلم الغيب المطلق، أو يتضمن صرف بعض أنواع العبادة إليه، وفي هذا ـ على ما فيه من شرك ـ فهو إيراد للرسول ﷺ هذا المَورد الذي خشيه ﷺ.

فلدى القوم من الدعوات والصلوات ما يجعله متصفاً بما لله من الصفات والأفعال بل في كونه مظهراً لذات الله وهو حقيقة كل شيء، ومنه يستمد كل حي، ومعظم صلوات القوم عليه ﷺ بين واقع في هذا الحمى الحرام أو حائم

(١) جواهر المعاني ١/١٠٧.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٩.
(٣) سورة المائدة: الآية ١١٦.
(٤) سورة سبأ: الآية ٤٠.
(٥) الحديث سبق تخريجه في ص٣٥١.
(٦) سورة الكهف: الآية ١١٠.

حوله موشك بالوقوع فيه، ومصرح به أو ملغز إليه، وقد اتضح معنا هذا بجلاء فيما سبق[1].

٣ ـ إن إتيان هؤلاء بالأذكار والدعوات الخاصة المبتدعة، فيه منازعة له ﷺ في رسالته ومُشاركة له في أمّته، بنصب أنفسهم مكانه، وفي صرف النّاس إليهم عنه.

٤ ـ في صنيع هؤلاء تفريق للأمّة من خلال الأذكار والأوراد المبتدعة إلى طوائف وطرق، وفيه تمزيق للأمّة التي أراد النبيّ ﷺ أن يباهي بها الأمم، بالإضافة إلى أنّ ذلك فيه فجيعة له ﷺ في أمّته حين يذاد كثيرٌ منها عن حوضه ﷺ بسبب ما أحدثه هؤلاء، كما صور ذلك ﷺ في مشهد من مشاهد يوم الظمأ، حيث يقول ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم، ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[2].

وفي هذه النقاط ما يكفي لتوضيح ما للذكر البدعي من أثر سيئ على حقوق المصطفى ﷺ، وما لأصحاب هذا الذكر من تعدي على مكانته ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١) انظر في الفصل السابق، مبحث: نماذج من أذكار الصوفية مع النقد ص٣٤٥. وانظر: أفضل الصلوات على سيد السادات للنبهاني ص٨٩..

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم ٦٥٧٦، البخاري مع الفتح ١١/٤٧١، ٤٧٢.

المطلب الثاني

أثر الذكر البدعي في حق الرسالة

إنّ من أخصّ ما تميّزت به رسالة الإسلام أمور ثلاثة: الكمال، وعدم التبدل، ووُحدة المصدر الرّبّاني، وإنشاء الأذكار والأدعية المبتدعة كغيرها من أمور الابتداع، هو استهداف لهذه الأركان التي قامت عليها الرسالة، وهذا أمر من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى مزيد فوق الإشارة، وهي:

❖ ١ ـ فعن كمال هذه الرسالة:

يقول الله سبحانه: ﴿. . ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، وقد أنزلت هذه الآية أوان إشهاد النبي ﷺ للأمّة على التبليغ، وقد اكتمل الدين يومها وتقرر، وما لم يكن يومئذ ديناً فلن يكون اليوم ديناً.

والرسالة كاملة بشهادة الله، وإشهاد نبيّه ﷺ، وشهادة المتّبعين، وقد جاء هديها في الأذكار والدعوات كهديها في كلّ شيء من جهة الكمال والتمام.

وجاء مبتدعة الأذكار ليقولوا بصنيعهم إنّ ما تحتاجه الرسالة في باب الأذكار والأدعية هو بحيث يسع لكلّ هذا الذي أضافوا، وأحدثوا، وصنيعهم مع ما فيه من تضمّن التكذيب لقول الله في الآية السابقة، وما فيه من تضمّن الطعن في إبلاغ الرسول ﷺ لها، وما فيه من مخالفة لنهيه ﷺ من الإضافة والزيادة عليها، فهو يتضمّن بالإضافة إلى ذلك كله، محاولة هدم لركن من أركان هذه الرسالة ألا وهو الكمال[2].

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) انظر في التمهيد: مبحث كمال الدين الإسلامي، وشمولية الذكر الشرعي ص١٩.

❖ ٢ ـ عن عدم التبدل:

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1].

ومزيّة تكفّل الله سبحانه بالحفظ والإبقاء هي ممّا خصّ الله به هذه الرسالة على كلّ الرسالات السابقة، إذ كان سبب تحريف الرسالات السابقة وتبديلها هو أنّ الله لم يتول حفظها، وأنّ أهلها قاموا بالزيادة فيها، والنقص منها، والابتداع بالزيادة والنقص في هذه الرسالة في الأذكار والدعوات، أو في غيرها، هو مصادمة لمراد الله من حفظ هذه الرسالة وإيراد لها موارد الرسالات السابقة، من التحريف والتبديل، وعليه فهو قطع لما أراد الله أن يوصل من حفظ هذه الرسالة وبقائها.

❖ ٣ ـ وحدة المصدر الربّاني:

لقد سبق فيما تقرر معنا في مصادر الذكر الشرعي، أنّ مصدر هذا الدّين الأوّل والأخير هو من الله، أي من كتابه سبحانه، وسنّة نبيّه ﷺ، وأنّ الإجماع والقياس هما في مجالهما ومن أهلهما ولا يخرجان عن هذا المصدر، ووُحدة المصدر من أعظم ما يحفظ للرسالة ميزتها وقيمتها كما قال ﷻ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا . .﴾[2].

والابتداع بالزيادة والنقص هو مشاكسة حتّى لا يكون التشريع سَلَماً لله سبحانه، فهو هدم لخاصيّة وحدة المصدر، ومؤداه هو جعل الرسالة بحيث لا تحسم نزاعاً بين أتباعها ولا تعصمهم عنه، فهو مصادم لأمر الله في قوله: ﴿. . فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ . .﴾[3]، إذ لا يتأتى ذلك حين يتفرّق المسلمون تبعاً للبدع، والمحدثات، والأهواء كما هو حاصل.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الحجر: الآية ٩.
(٢) سورة الزمر: الآية ٢٩.
(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

المبحث الثالث

أثر الذكر البدعي في حق الأمة

المطلب الأول

أثر الذكر البدعي على الأمة من جهة كونه مبتدعاً، وذلك من نواحي

١ ـ فيه كون المسلم يتّخذ له مشرعاً في عبادته غير الشارع، وأثر ذلك تفرق الأمّة وتمزّقها، ووقوع التعصّب، والخلاف بينها، والابتداع في الذكر من قِبل مشايخ الطرق الصوفيّة، كان هو العامل الرئيس في تفرع هذه الطرق، وتكاثرها[1]، وتمايزها.

٢ ـ فيه فتح لباب الابتداع في الدّين، واستمراء ذلك، والاستهانة به من قبل من يرغب في المشيخة، ومن جهة أخرى جعله مألوفاً للأمّة لا تنكره.

يقول الشيخ الغزالي ﵀: إن الذين ابتدعوا هذه الأذكار أضلوا المسلمين ضلالاً مزدوجاً، أضلوهم إذ أضافوا إلى ما شرع الله هذه الزيادات المتفخمة. . . . وإذ صرفوا الهمم عن أعمال أخرى كان الإقبال عليها أرجى في دين الله، وأدنى إلى نفع العباد[2].

٣ ـ ومن أخطر ما فيه أن يدخل إلى الأمّة من خلاله من يريد إدخال شيء في دينها وعباداتها، إذ أنّ قابليّة الإضافة والزيادة فيه هي ممّا يطمع إليه الأعداء.

(١) انظر لسبب تعدد الطرق ص٣٤١ من هذا البحث.
(٢) ليس من الإسلام ص٢٣٠ ـ ٢٣١.

المطلب الثاني

أثر الذكر البدعي من جهة الهيئة والشروط

لتلقّي الذكر المبتدع شروط ذات آثار سلبية على الفرد، والمجتمع، ومنها:

١ ـ لا بدّ من تلقّيها على يد شيخ خاص تكون له تبعيّة المتلقّي ظاهراً وباطناً، ويكون المتلقّي للشيخ كالميّت بيد الغاسل يقلبه كما يشاء، ولا يعترض عليه إلاّ إذا فعل الميّت ذلك مع الغاسل.

٢ ـ يقدم حبّ الشيخ على حبّ غيره كائناً من كان، ويحضره بين عينيه وفي قلبه، حاضراً كان أو غائباً، رجاء البركة والفتح من قِبله، ويفنى فيه قبل الفناء في الله ممّا تكون المحصّلة خضوع وذلّ وخوف، ورهبة منه، وكأنّه يعلم ما في الضمير.

٣ ـ فيه تكلّف، وتكليف من حيث الإقلال من الطعام، والامتناع عن بعضه، والسهر والاختلاء ممّا يضرّ بالبدن، والمزاج.

٤ ـ إظهار الأمّة على أنّها أمّة عبث ولهو، وأبعد ما تكون عن الجِدّ، وذلك في الموالد التي تكون بالإنشاد، والمديح، مع الدفوف والمزامير والموسيقى، ويكون الحضور غارقين وسط معمعة تجتمع فيها جملةٌ من المُنكرات، فوق ما فيها من مشابهة حفلات اللهو، والغناء إنْ لم تكن منافسة لها.

٥ ـ فيه من وجه خاصّ إزاحة للهيبة والوقار من كبار المجتمع أو من يظنّ أنّهم من أهل العلم، ولو ظاهراً، عندما ينخرطوا في صخب كهذا أو يرقصون، ويتمايلون.

٦ ـ بالنسبة لأذكار الألوف، ومئات الألوف، فيه إضاعة لأوقات الناس، وأعمارهم وتغييبهم عن بقيّة تكاليف الدّين والدنيا فضلاً عن الجهاد،

وهموم المسلمين، وفيه إخلاء للطريق أمام أعداء الإسلام بقدر ما في تلك الخلوات.

٧ ـ وفيه من جهة أخرى دفع إلى الخمول والدعة، وقتل لروح النشاط والجهاد، وتضييع للمال والعيال، وكلّما أقبل على هذا الاتجاه سالك ومريد كلّما زاد عدد العالة في المجتمع المسلم.

* * *

المطلب الثالث

أثر الذكر البدعي من جهة مضامينه[١]

١ ـ هناك من الأذكار ما يتضمّن صرف العبادة لغير الله، والإشراك فيها، وهو أخطرها أثراً.

٢ ـ هناك أذكار تحتوي على كلمات غير منضبطة المعنى، وطلّسْمات تعلق المسلم بما لا يعرف معناه.

٣ ـ تعليق الأمّة بالثواب المتوهم المبالغ فيه الذي يؤدّي إلى مزيد من التعلق بالأذكار المبتدعة، وتزهيد الأمّة في المشروع.

٤ ـ هناك دفع إلى الجرأة على المعاصي، والأمن من مكر الله، إذ إنّ تلقين ذكر معيّن لا تكتب على قائله سيّئة في يومه، أو شهره، أو عامه، أو لا يموت إلاّ سعيداً، أو أن ضامنه هو المصطفى.. إلخ.

يقول التجاني: (كل من أخذ وردنا يبعث من الآمنين ويدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو وولده، وأزواجه وذريته المنفصلة عنه)[٢].

فهؤلاء المتصوفة ركبوا أورادًا وأذكارًا للعامة كما يركب الطبيب الجاهل أدوية سيئة، فيقبل عليها المفتونون بصلاح رؤسائهم ويضيعون أوقاتهم سدى في أعمال ما طلبها الله في فريضة أو نافلة، وعلى قدر ما ينشغلون به في هذه الأذكار المبتدعة ينسون من مطالب الإسلام الحقة[٣].

وهذه مجرد نقاط وإشارات لآثار الذكر البدعي، في حق الله، وحق

(١) انظر: مبحث ما يترتب عليه الضرر على الدين من الذكر البدعي في فصل الذكر البدعي ص٢٣١.

(٢) جواهر المعاني ١/١٦٢.   (٣) ليس من الإسلام ص٩٤ ـ ٩٥.

الرسالة وحق الرسول وحق الأمة، وهي غيض من فيض، ويصعب تقصّيها، كيف والابتداع استحداث واستبدال وباب متجدد، يستجيب لما يستجد من الرغبات والنزعات والأهواء، وعبر امتداد الزمان وترامي البلدان والأطراف والأمكنة.

فما أقبحه من جرم وشؤم تُقدم عليه فئام من المسلمين تنقض به بناء بيتها بأيديها لبنة إثر لبنة، وتعمل بنفسها على ما ينتهي بها يوماً في العراء ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾[١].

ويا ليت القوم يعلمون خطورة ما يعملون، وإلا:

فما انتفاع أخي الدنيا بناظره   إذا استوت عنده الأنوار والظلم

* * *

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٨.

الفصل الخامس

مصادر الذكر البدعي دراسة تقويم ونقد

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: الكشف تعريفه وأبرز موضوعات.

المبحث الثاني: التلقي عن الله بالكشف.

المبحث الثالث: وقفة تقويمية مع مصدر الكشف.

المبحث الرابع: التلقي عن النبي ﷺ بالكشف.

المبحث الخامس: التلقي عن غير الله ونبيه بالكشف.

التمهيد

لقد مر معنا في مفهوم الذكر البدعي، أن غاية مراد أصحابه منه، هو كشف حجب الغيب وعلومه، والوصول إلى المغيبات، وحصول الفيوضات والواردات إلى قلوبهم، وهذا هو الباب الذي أوقفوا جهدهم وجهادهم وعباداتهم وأذكارهم أمامه، وعوَّلوا على طَرْقه ونقره، حتى فتحوه، أو خيل إليهم أنهم فتحوه فتعلقوا به، وعلقوا به أتباعهم، ومن ثم اتخذوه باباً بديلاً عن باب الشرع، وغدا هو مصدرهم للتلقي.

يقول الدكتور عبد الحليم محمود في أبحاثه في التصوف تحت عنوان ـ وسيلة المعرفة ـ بعد أن سرد حياة الرسول ﷺ قبل البعثة وعزوفه عن المجتمع الجاهلي وتحنثه في غار حراء وتكبده المشاق وسهره الليالي حتى تهيأت نفسه، إلى أن كان من أمره أن أتاه جبريل بالوحي، فيقول معقباً على هذا: هذه الحياة التي هداه الله لها هي التي رسمت لنا الطريق إلى الله، طريق الكشف، طريق الإلهام طريق البصيرة، بل طريق المشاهدة على ما يرى الصوفية، ـ ثم في المبحث التالي يزيد المسألة إيضاحاً فيقول: فقضية الروح ليست غرضاً من أغراض الصوفية إلا لأنها تمهد للاتصال بالله والتلقي عنه، ولا ريب أن معرفة تأتي عن طريق الإلهام أو إذا شئت عن طريق الألوهية هي معرفة لا يتطرق إليها الهدم ولا تنهار أمام حجج المنطق، وأنت تحاول عبثاً إذا أردت أن تبعث الشك في نفس الصوفي أو أن تحوله عن رأيه إذ كيف يحيد عن فكرة يعتقد أنه تلقاها عن الملأ الأعلى[1].

---

(١) أبحاث في التصوف، ودراسات عن الإمام الغزالي. مع المنقذ من الضلال للغزالي ص٢٨٧ ـ ٢٩٩.

فمصدر التلقي عند معظم القوم، هو هذا، وهو باب واسع سعة هذا الملأ الذي يريدون التلقي عنه والتعامل معه، فقد يكون التلقي عن الله أو الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء، وغير ذلك من عالم الأرواح يقظة أو مناماً، وهذا كله يجمعه مسمَّى الكشف.

فما كان من الخوارق من باب العلم، فتارة يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومناماً، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحياً وإلهاماً، أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة، ويسمى كشفاً ومشاهدات ومكاشفات ومخاطبات.

فالسماع مخاطبات والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله «كشفاً ومكاشفة، أي كشف له عنه»[١].

فالكشف هو المصدر للذكر البدعي ولغيره من معارف الصوفية، وهو جامع لبقية المتلقي عنه عندهم[٢].

وعلى هذا سيكون الكلام في هذا الفصل على ما يأتي:

١ - الكشف تعريفه وذكر أبرز الأنواع الداخلة تحته.

٢ - التلقي عن الله عن طريق الكشف.

٣ - التلقي عن النبي ﷺ عن طريق الكشف.

٤ - التلقي عن غير الله ونبيه من خلال الكشف.

وقبل الدخول في ذلك، فهنا أمر لا بد من الإشارة إليه وهو من شقين:

الشق الأول: هناك أمور لا تفيد هذا المقام مع ما فيها من الأخذ والرد فلن نعرض لها، وذلك مثل رؤية الله سبحانه في الدنيا بالبصر أو البصيرة والقلب، على أن رؤيته بالبصر في الدنيا لا يقول بها من يعوَّل عليه حتى من أرباب التصوف[٣].

(١) مجموع الفتاوى ١١/٣١٣.
(٢) انظر: الموسوعة الميسرة ١/٢٦٥.
(٣) انظر: الرسالة القشيرية ٢/٦٦٦.

وكذلك شأن الرسول ﷺ وحاله في برزخه وقبره وهل يرى بروحه وجسده، أم بروحه دون جسده، أم يرى مثاله أم يرى بالقلب؟ وهذا باب فتحه المتصوفة، وهم الذين أطالوا فيه الكلام والنزاع، والدخول معهم في ذلك هو من باب إعطائهم لمساحة من النقاش لا يستحقونها، وهي ليست محل النقاش، والنقاش إنما يبدأ بالسؤال التالي:

ما الذي تركه كتاب الله الذي يقول عنه سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[١]، وما الذي أجَّله النبي ﷺ ورحل مُخفياً إياه حتى يلاحق لأجله بعد رحيله بمثل هذه الطرق؟.

الشق الثاني: فيما يتعلق بالخضر ﵇ وقد عول عليه القوم في تلقيهم كثيراً، هناك جانبان من الحديث، الأول فيما يتعلق بكونه ولي أو نبي، والثاني هل هو حي أم ميت؟

فهو إن كان نبياً فليس ببدع من الأنبياء، سيما ونحن لم نؤمر إلا باتباع نبينا، ولو كان ولياً فليس هو أول أولياء الله ولا آخرهم، ويبقى الاتباع للنبي ﷺ.

وأما حياته فلو كانت حاجة الاستمداد قائمة، لما قبض الله نبيه محمداً ﷺ، ولكن حسبه ﷺ وصل الناس بربهم، وقد بين لهم كيف يعبدوه، بل لو أراد الله سبحانه البقاء لأحد من البشر ربما لكان لمحمد ﷺ، وهو ما عزّى به نبيه إذ يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤)﴾[٢]، وعزَّى أصحابه فيه بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾[٣].

ولعلنا نفرد موضوع الخضر بشيء من البحث لشدة تعويل القوم عليه بقدر ما تدعو إليه الحاجة.

* * *

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٨.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

المبحث الأول

الكشف تعريفه وأبرز موضوعاته

المطلب الأول

تعريف الكشف وبعض موضوعاته

الكشف في اللغة: الكاف والشين والفاء أصل صحيح للدلالة على سرو الشيء عن الشيء، كالثوب يسري عن البدن ـ أي يكشف عنه ـ يقال كشفت الثوب وغيره أكشفه. والأكشف: الرجل الذي لا ترس معه في الحرب، ويقال تكشف البرق إذا ملأ السماء والمعنى صحيح لأنه إبراز[١].

الكشف في الاصطلاح: يقول في الرسالة القشيرية عن المكاشفة: هو حضوره بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل دليل وتطلب السبيل، ولا محجوب من نعت الغيب[٢].

ومعنى كلامه حالة حضور مع ظهور واستغناء بمدلول عن الدليل وبوصول عن الطريق إذ لم يعد الحجاب صفة للغيب، وقد أتى بالكلام على طريقة القوم في الإغراب.

فحقيقة الكشف هي: الاطلاع على ما وراء الحجاب في المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً[٣]. و(بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه العبد كأنه رأي العين)[٤].

(١) انظر: لسان العرب ٩/ ٣٠٠. (٢) الرسالة القشيرية ١/ ٢٢٦.
(٣) معجم مصطلحات الصوفية للحنفي ص٢٢٥.
(٤) اللمع لأبي نصر السراج ص٤٢٢. تحقيق عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي، دار =

والكشف مرحلة يصل إليها المرء بعد مجاهدة يزيل بها نوازعه وشهواته، ويزكي نفسه ويطهرها في باطن الأمر، فإذا زالت الكدورات والشواغل والشهوات عن القلب والروح والنفس زالت بزوالها الحجب، والكشف مرحلة متوسطة بين المحاضرة والمشاهدة فقبل الكشف يصل إلى المحاضرة: وهي حضور القلب بتواتر البرهان، وهو بعد وراء الستر وإن كان حاضراً بسلطان الذكر[١].

ثم يترقى المرء إلى أن يرفع الستر والحجاب فيكون في مرحلة الكشف وقد يترقى إلى ما هو أعلى من ذلك إلى المشاهدة وقد لخص الغزالي الطريق والغاية والمراتب فقال:

أول الشروط تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى، ومفتاحها: استغراق القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية في الله، ومن أول الطريق تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد[٢].

والحاصل أن الكشف هو المعول عليه إذ أن ما قبله من المجاهدات والمراتب موصلة إليه وهي بدون الكشف لا قيمة لها عندهم، كما قال في الأنوار القدسية: فيقال لمن ادعى أنه حضر بقلبه في ذكره مع ربه، ماذا أتحفك وأعطاك في هذا المجلس، فإن قال ما أعطاني شيئاً؟ قلنا له وأنت الآخر لم تحضر معه شيئاً[٣].

أما إذا تحقق فتلك هي الغاية، فقد زال الحجاب عن الغيب إذ يمكن الحصول على أسرار العلوم وخفيها، والوصول إلى منبع العلوم دون الحاجة إلى الرسول كما أشار إلى هذا صاحب منازل السائرين إذ قسم العلم إلى

= الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٠م.
(١) الرسالة القشيرية ١ ـ ٢٢٦.
(٢) انظر: المنقذ من الضلال مع أبحاث في التصوف ص١٣٢ ـ ١٣٣.
(٣) الأنوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية ١/ ٤٢.

درجات ثلاثة: جعل الدرجة الأولى من العلم لما يمكن الحصول عليه بواسطة البصر مما يقع في العيان، وما استند إلى السمع مما استفاض خبره، وما استند إلى العقل وهو علم التجربة، وأما باقي الدرجتين العليا من العلم فهي لسالكي طريق الكشف يقول:

الدرجة الثانية: علم خفي ينبت في الأسرار الطاهرة، من الأبدان الزكية بماء الرياضة الخالصة، وهو علم يُظهر الغائب ويغيّب المشهود...

الدرجة الثالثة: علم لدنّي، اسناده وجوده، وإدراكه عيانه، ونعته حكمه، ليس بينه وبين الغيب حجاب.

يقول ابن القيم معلقاً: يشير القوم بالعلم (اللدني) إلى ما يحصل للعبد من غير واسطة، بل بإلهام من الله، وتعريف منه لعبده كما حصل للخضر عليه السلام بغير واسطة موسى[1].

إذاً هذا هو الكشف من حيث المعنى والمضمون والهدف، وهو معنى عام وواسع، وفروع مصادر القوم تدخل تحته وسنذكر فيما يلي أبرزها.

❖ أبرز موضوعات وأنواع الكشف:

إذا كان الكشف رفعاً للحجب، فإن المكشوف عنه ربما كان شاملاً لكل ما كان وراء تلك الحجب، من حقائق الأشياء، وأمور الكون، وعالم الغيب.

وعلى هذا فلفظ الكشف يحمل معنًى واسعاً، تدخل تحته أنواع كثيرة، من أبرزها وأهمها: الإلهام ـ الهواتف ـ التلقي عن النبي ﷺ يقظة أو مناماً ـ التلقي عن غير الله ونبيه كالخضر وغيره[2].

وسأقتصر على هذه الأنواع، لأنها هي التي تعد المصادر الرئيسية للذكر

(١) انظر: مدارج السالكين ٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٥.

(٢) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، صادق سليم صادق ص٢١٨ مكتبة الرشد بالرياض الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ومجموع الفتاوى ١١/ ٣١٣، والموسوعة الميسرة ١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

البدعي على وجه الخصوص، ويحسن ترتيبها على ما ذكر، لتناسب تسلسل الكلام الذي سيسير عليه البحث، إذ تلقيهم عن الله عن طريق الإلهام، والهواتف ثم تلقيهم عن النبي ﷺ، ثم تلقيهم عن غير الله ونبيه ﷺ وكل ذلك عن طريق الكشف وما يدخل في معناه.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني

الإلهام

ويطلق على ما ينقدح في النفس دون مقدمات محسوسة، وهو في اللغة: ما يلقى في رُوع النفس من الأمور، من قِبل الله بما يدفع على الفعل أو الترك[١].

والإلهام في الاصطلاح: هو إيقاع شيء في القلب مما يطمئن له وينشرح، لا عن استدلال وإنما منحة من الله، أو يكون خطاباً يرد على الضمائر بإلقاء الملَك[٢].

وبعبارة أخرى هو: ما يقع في نفس الولي أو يلقى في قلبه مما يراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً من الحق[٣].

وقد يطلق عليه بعضهم علماً «لدنيًّا»، إذ يحصل للعبد بإلهام من الله من غير واسطة، كثمرة للعبودية والمتابعة[٤].

وعلى هذا يكون خلاصة معنى الإلهام: هو ما يلقى في رُوع الإنسان ويقع في قلبه مما تطمئن له النفس وينشرح له الصدر، على أنه من جهة الحق دون أي نظر أو استدلال على ما يدعو إليه هذا الملقى من الخارج، وقد جعل صاحب منازل السائرين «الإلهام» هو مقام المحدثين، لكن ابن القيم استدرك عليه مفرقاً بينهما، على اعتبار أن التحديث أخص من الإلهام، فبينهما عموم وخصوص، فالإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم لأن كل مؤمن قد ألهمه الله

(١) انظر: لسان العرب ١٢/٥.

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني ص١٤، والرسالة القشيرية ١/٢٤٢.

(٣) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية ص٢٨.

(٤) انظر: مدارج السالكين ٢/٤٧٥.

رشده، أما التحديث فخاص كما جاء في الحديث: «إنْ يكن في هذه الأمة أحد فعمر»[١]، يعني من المحدَّثين، والتحديث الذي هو إلهام خاص، هو وحي إلى غير الأنبياء ومنه ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾[٢]، ثم إن الإلهام موهبة مجردة لا تنال بالكسب ألبتة[٣].

والفائدة المضافة من كلام صاحب المنازل وتعقيب ابن القيم، أن التحديث هو من الإلهام بل هو من أدق وأخص أنواع الإلهام، وهو المقصود إذا ذكر الوحي لغير الأنبياء كما في الآية المذكورة، وكما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾[٤]، وقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[٥].

* * *

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عمر، مسلم بشرح النووي ١٥/١٦٦.

(٢) سورة القصص: الآية ٧.

(٣) انظر: مدارج السالكين ١/٤٤ ـ ٤٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١١.

(٥) سورة النحل: الآية ٦٨.

المطلب الثالث

الهواتف

وهو: جمع لما يفيد كونه صوتاً يطرق السمع، يكون من العلو والشدة بحيث يُسمع وتُعرف ناحيته.

قال في اللسان: سمعت هاتفاً يهتف، إذا كنت تسمع الصوت ولا تبصر أحداً[1].

ومعنى الهاتف: هو المتحصل من هذا التعريف اللغوي، أي صوت عالٍ مسموع، وحاصله أن يقول قائلهم: «فسمعت هاتفاً أسمع صوته ولا أرى شخصه»[2].

فالهواتف هي: الخطاب المسموع[3].

وبين الهاتف والإلهام، افتراق والتقاء، فالافتراق: في كون الهاتف صوت مسموع والإلهام معنى يلقى في القلب، والالتقاء: في كون السامع والمُلْقَى في قلبه لا يعلمان لمن الصوت ومن الملقي.

* * *

(١) انظر: لسان العرب ٩/٣٤٤.

(٢) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص٢٨٦، نقلاً عن الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية ١/٣.

(٣) مدارج السالكين ١/٤٦.

المبحث الثاني

التلقي عن الله سبحانه من غير واسطة النبي ﷺ

المطلب الأول

مفهوم بعض المتصوفة للتلقي عن الله سبحانه

في اعتقاد المسلمين أن التلقي عن الله يكون عن طريق نبيِّه الأمين على وحيه، الذي أنزل الله عليه الكتاب وأمره بإبلاغه وبيانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1]، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2]، وقد فعل ﷺ ولم يرحل عن دنيا الناس إلا بعد أن أوضح لهم المحجة وأقام عليهم الحجة وتركهم على الواضحة.

وقد مضى المسلمون وما يزالون على أن كتاب الله وسنة نبيه هما المرجع والمصدر، ومنهما يكون التلقي عن الله ورسوله ﷺ، وقد يختلفون في فهم أو استنباط، ولكن لا يختلفون على وقف المصدرية والتلقي على هذين الوحيين، وليس سواهما ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3].

بيد أن بعض أهل التصوف شذُّوا عن هذا المعلوم المقرر الذي لا يقوم الدين على غيره فقالوا بأنهم يتلقون عن الله، لكن ليس من كتابه المنزل على محمد ﷺ ولا عن سنة محمد ﷺ وإنما عن الله مباشرة.

وقد حمل الغزالي لواء هذا المعنى، فها هو ذا يقول: إن ميل أهل

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون، بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدة، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل من ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم(١).

بل إنه يمازج بين الأولياء والأنبياء في حصول العلم وطريق تحصيله، فيقول: فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا... إلخ(٢).

حتى إنه يختلط عليه الإلهام، بوحي الأنبياء، وهو يتكلم عن أحوال الإلهام، فلا يرى الفرق بين الاثنين إلا أمراً يسيراً، إذ يقول: ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك - يعني حالات وأوصاف الإلهام - إلا في مشاهدة الملك المفيد للعلم، فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة(٣).

وتلقي العلم عن الله مباشرة من غير واسطة، يعتبر عند الصوفية أكمل للمتلقي وأوثق للعلم المتلقى، على خلاف علوم الرسوم المتوارثة ميتاً عن ميت على ما قالوا، فهم يتواصون بالقول لبعضهم: (اعلم يا أخي إن الرجل لا يكمل في مقام العلم، حتى يكون علمه عن الله ﷻ بلا واسطة من نقل أو شيخ، فإن من كان علمه مستفاداً من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ من المحدَثات، وذلك معلوم عند أهل الله - شيوخ الطرق - ولو أنك يا أخي سلكت على يد شيخ من أهل الله ﷻ لأوصلك إلى حضرة شهود الحق تعالى، فتأخذ منه العلم بالأمور من طريق الإلهام الصحيح من غير تعب ولا نصب ولا سهر كما أخذه الخضر ﵇، وكان الشيخ الكامل أبو يزيد البسطامي يقول لعلماء عصره: أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتاً عن

---

(١) إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد الغزالي ٣/١٩ مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني القاهرة، دون مزيد بيان. عن الطبعة.
(٢) نفس المصدر ٣/١٩.
(٣) نفس المصدر السابق.

ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت)(١).

فالإلهام بالتلقي عن الله دون واسطة ليس مصدراً فحسب، وإنما هو علامة على علو الكعب والمنزلة، ومن هنا يأخذ الأولياء منزلتهم، فهم لا يحتاجون في تحصيل علومهم إلى من يتوسط بينهم وبين الله، وهذه هي حال الخضر ﵇ في فهم المتصوفة، إذ أنه كان على علم وهو ولي، دون الحاجة إلى موسى النبي ﵇، كما قال ﷻ عنه: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾(٢)، وهذا هو العلم اللدني الذي يسعون لترسيخ أذهان الناس على أنهم توصلوا إليه، بل إنهم تفوقوا على الخضر في ذلك وبشهادته كما جاء في الرسالة القشيرية: يقول رأى بعضهم الخضر ﵇ فقال له: هل رأيت فوقك أحد؟ فقال: نعم كان عبد الرزاق بن همام(٣) يروي الأحاديث بالمدينة، والناس حوله يستمعون فرأيت شاباً بالبعد منهم رأسه على ركبتيه، فقلت له: يا هذا، عبد الرزاق يروي أحاديث رسول الله ﷺ، فلم لا تسمع منه؟ فقال: إنه يروي عن ميت، وأنا لست بغائب عن الله؟ فقلت له: إن كنت كما تقول، فمن أنا؟ فرفع رأسه وقال: أنت أخي أبو العباس الخضر، فعلمت أن لله عباداً لم أعرفهم(٤).

إذاً هكذا يقررون وبطريق الإشادة على أن مثل هذا المسلك في التلقي هو لأهل المنازل العالية، بينما مجالس تلقي حديث رسول الله ﷺ، ودراسة العلوم الشرعية ليست من ذلك في شيء، وهل يزيد ما فيها على زعمهم، إلا ما ظل الأموات يتناقلونه فيما بينهم.

* * *

---

(١) جواهر المعاني في فيض التجاني ١/١١.
(٢) سورة الكهف: الآية ٦٥.
(٣) عبد الرزاق: هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم، أبو بكر الصنعاني من حفاظ الحديث الثقات من أهل صنعاء، ولد سنة ١٢٦هـ، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث، له كتب منها. مصنف في الحديث، وتفسير القرآن، توفي سنة ٢١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٩/٥٦٣، وشذرات الذهب ٢/٢٧ والأعلام ٣/٣٥٣.
(٤) الرسالة القشيرية ج٢/٦٨٥.

المطلب الثاني

نماذج من الأذكار المتلقاة عن الله في زعمهم

لقد قرر المبتدعة مبدأ التلقي عن الله بلا واسطة كما رأينا، ونقل عنهم الكثير من الموضوعات والمعارف التي استفادوها من خلاله، ولكن بالنسبة للأذكار المتلقاة من هذا المصدر ليست كثيرة، ونذكر هنا نماذج من الأذكار التي كان مصدرها من الله مباشرة لشخص معين، في زعمهم.

فمنها حزب الفتح: وهو الحزب الذي فتح الله به على أبي الحسن ـ الشاذلي ـ ويسمى أيضاً حزب «الأنوار»[1] وهو حزب طويل مليء بكثير من المعاني والمضامين التي لا تصح وأخرى لا تتضح.

ومنها قول أبو المواهب الشاذلي: سألت ربي ليلة أن يلهمني حمداً أحمده به، فأملى علي لسان الوارد في الحال: الحمد لله ولله الحمد بكل المحامد على كل المحامد.. إلخ[2].

وهذا الدعاء أو الحمد على ما فيه من مسحة الصناعة والتكلف ففيه ركة في الأسلوب وركة في المعنى.

ومنها الصلاة المشهورة المعروفة بصلاة الفاتح والتي أخذ التجاني على عاتقه جرم تفضيلها على القرآن بألوف الدرجات، مع أنها تنسب لغيره.

ويعتقدون أنها من كلام الله ويشترط على مؤديها أن يعتقد ذلك، وأنها أنزلت على صحيفة من نور من الله[3].

---

(١) انظر: كتاب أبو الحسن الشاذلي ص١٧٢ وما بعدها للدكتور عبد الحليم محمود.

(٢) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص٢٧٧ ـ نقلاً عن طبقات الشعراني ٢/ ٧٧.

(٣) انظر: أفضل الصلوات على سيد السادات ص١٤٣ ـ ١٤٥ جمع يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الفكر دون مزيد بيان عن الطبعة، وانظر: كتاب التجانية ص٢١٦ ـ ٢١٧ =

وقد تعرض البحث إلى شيء من الحديث عنها في مفهوم الذكر البدعي.

ومما يتلقى عن الله: نشوء الفرق والطرق الجديدة ضمن أصحاب الأذكار المبتدعة، أو تفرع الطرق الناشئة عمن سبقها يكون سببه الفتح من الله عن طريق الإلهام، كما يقول الدكتور أحمد غلوش: قد يفتح الله تعالى على واحد منهم بطريق الإلهام ويؤتى حظاً كبيراً من الأنوار القدسية فيكاشف بفائدة ذكر اسم معين من أسماء الله الحسنى، فيكون ذلك سبباً لإنشاء طريقة جديدة، مشتقة من طريقته القديمة ومن ثم كان تعدد الطرق الصوفية على تقادم العصور[1].

وعلى هذا فإن التلقي عن الله من خلال الإلهام والفتح في مجال الأذكار المنشأة لا يقف في حد المصدرية للذكر، بل يتعداه إلى أن يكون سبباً في نشوء طرق جديدة تثقل الجسم الإسلامي بمزيد من الأوجاع.

❊ ❊ ❊

= على محمد دخيل الله نقلاً عن بغية المستفيد نص ٣٧٥، وانظر: رماح حزب الرحيم.

(١) انظر لهذا الكلام: الصوفية معتقداً ومسلكاً ص١٩٠، صابر طعيمة، الطبعة الأولى دار عالم الكتب الرياض، نقلاً عن الفلسفة الإسلامية وملحقاتها ص٢٥٠ ـ ٢٦٤، رضا كحالة نقلاً عن مجلة المقتطف دون مزيد بيان عنها.

المبحث الثالث

وقفة تقويمية مع مصدر الكشف

المطلب الأول

أصل الإلهام الذي لا ينكر

إن ما يكرم الله به عباده الصالحين العابدين، ذوو النفوس الطاهرة والقلوب الصافية، المتوجهين إلى الله بقلبهم وقالبهم، هو حق، سواء كان في العلم أو العمل، فبالنسبة للعلم الذي نحن بصدده أي الإلهام أو العلم مثلاً (فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكره، واتباعهم لما يحب، ما لا يفتح به على غيرهم، وهذا كما في الأثر عن علي: إلا فهمًا يؤتيه الله عبداً في كتابه.. وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع)[1]، كقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[2]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[3]، وقوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾[4]، بل إن في الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ: «قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر»[5]، مع ما فيه من مزية لعمر رضي الله عنه، فإن الحديث فيه إقرار بأصل الإلهام لغير الأنبياء فلا (سبيل لإنكار الإلهام سيما وقد فتح النبي ﷺ بابه بهذا الحديث)[6].

(١) مجموع الفتاوى ١٣/٢٤٥.
(٢) سورة محمد: الآية ١٧.
(٣) سورة الكهف: الآية ١٣.
(٤) سورة المائدة: الآية ١٦.
(٥) الحديث سبق تخريجه في ص٣٩٣.
(٦) انظر: كتاب ولاية الله والطريق إليها ص٢٣٤ ـ ٢٣٥، والكلام للشوكاني في قطر الولي في حديث الولي، دراسة وتحقيق إبراهيم هلال، مطبعة المدني، توزيع دار الكتب الحديثة، دون مزيد بيان.

وكان عمر يقول: (اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة).

وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنها تتجلى للمطيعين هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم، فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات، وقد ثبت في الصحيح تعين عمر بأنه محدث في هذه الأمة، فأي محدَّث ومخاطب في باقي أمة محمد ﷺ فعمر أفضل منه[1].

فمن حيث الأصل إنكار الإلهام مردود، ... ونحن لا ننكر أن الله يكرم عبده بزيادة نور منه يزداد به نظره ويقوى به رأيه[2].

وعليه فكون هناك إكرام وإلهام من الله لمن يشاء من عباده، هو أمر شهدت به نصوص الشرع وشاهدته عيون الواقع.

❊ ❊ ❊

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٢٩.
(٢) انظر: فتح الباري ١٢/٣٨٨ ـ ٣٨٩.

المطلب الثاني

أنواع ما يلقيه الله إلى البشر، وما يمكن وقوعه لغير الأنبياء من ذلك

إن تكليم الله للناس أنواع ثلاثة، اثنان منها لا تحصل لغير الأنبياء، وأما الثالث فيمكن حصوله لغيرهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وتكليم الله لعباده على ثلاثة أوجه: من وراء حجاب كما كلم موسى، وبإرسال رسول كما أرسل الملائكة إلى الأنبياء، وبالإيحاء وهذا فيه للولي نصيب، وأما المرتبتان الأوليان فإنهما للأنبياء خاصة[١].

وقد ذكر ابن القيم هذه المراتب الثلاثة ضمن مراتب هداية الله الخاصة والعامة والتي عدها عشرة مراتب، أعلاها هذه الثلاث وهي:

الأولى: مرتبة تكليم الله ﷻ لعبده يقظة بلا واسطة بل منه إليه، وهذه أعلى مراتبها، كما كلم موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا أفضل السلام، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[٢]، فالتكليم أعلى من الوحي المطلق.

الثانية: مرتبة الوحي المختص بالأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[٣].

الثالثة: إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري فيوحي إليه ما أمره أن يوصله إليه[٤].

(١) مجموع الفتاوى ٢/٢٢٨.
(٢) سورة النساء: الآية ١٦٤.
(٣) سورة النساء: الآية ١٦٣.
(٤) مدارج السالكين ٣٦ ـ ٣٨.

وهذه المراتب الثلاثة عنده خاصة بالأنبياء لا تكون لغيرهم، ثم إنه يذكر في المرتبة الرابعة التحديث، ويقول عنها إنها دون مرتبة الوحي الخاص الذي ذكره للأنبياء في المرتبة الثانية، ثم يذكر الإلهام في المرتبة التاسعة مخالفاً لصاحب منازل السائرين الذي جعل الإلهام بمعنى التحديث.

وابن القيم يرى أن التحديث أخص وأعلى من الإلهام، إذ هو عام في نظره، وأما التحديث فهو الوحي إلى غير الأنبياء[١]، كما في قوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾[٣].

وحاصل ما عند ابن القيم أن هناك مرتبتان من المراتب هما مما يمكن حصول العلم منهما لغير الأنبياء: التحديث والإلهام، وإحداهما أرفع وأخص من الأخرى، ولا مشاحة في الاصطلاح والتقسيم.

وخلاصة القول: أن ما يلقيه الله ويفتح به على غير الأنبياء، لا يكون خطاباً مسموعاً منه إليهم، كما كان لموسى، ولا يكون بواسطة ملك مبلِّغ عن الله يعلم به المتلقي، فهذان للأنبياء، ولكن يكون من قبيل الإلهام بالنفث في الرُّوع والقدح في القلب مما تطمئن له النفس وينشرح له الصدر على أنه من جهة الحق.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: مدارج السالكين ١/٣٧ ـ ٤٥.
(٢) سورة القصص: الآية ٧.
(٣) سورة المائدة: الآية ١١١.

المطلب الثالث

ما يلقى إلى غير الأنبياء هل يكون دليلاً مستقلاً

لقد سبق في بداية الكلام اعتبار المتصوفة لمكانة التلقي عن الله بلا واسطة وأنه من أعلى المقامات، زيادة على كونه أوثق مصدر لا يتطرق إليه الشك عندهم، وهو من مصادرهم في الأذكار، بل إن قيمة الذكر المتلقى من هذا المصدر تجعله مقدماً على غيره كما صنع صاحب كتاب «أبو الحسن الشاذلي» عندما بدء في ذكر أحزاب أبي الحسن الشاذلي، بدء بذكر حزب الفتح وعلل ذلك قائلاً: حزب الفتح، وهو الحزب الذي فتح الله به على أبي الحسن، ويسمى أيضاً حزب الأنوار، نبدأ به الأحزاب للتيمن والبركة[(١)].

فهل الإلهام مصدر للتلقي والاستدلال في التشريع حتى يقول أحدهم بملء فيه في صلاة على النبي ﷺ أتى بها: (كان الله فتح بها علينا في حالة ربانية منيفة)[(٢)]، ويلقنها لغيره؟

فما الذي يقال لهؤلاء في صنيعهم هذا واعتمادهم على الإلهام وما جاء عن طريقه، كمصدر لذكر أو دعاء أو صلاة على النبي ﷺ لم يكن مما ورد به الشارع، زيادة على ما فيه من مآخذ في الألفاظ والمضامين لا يكاد يخلو منها.

مع العلم بأن المقرر في الأصول، أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة، وعدم الدليل على جواز الاستدلال به، بل الدليل على عدم جواز الاستدلال به، ذلك لأن غير المعصوم لا ثقة بخواطره، وقد ضُمنت الهداية في اتباع الشرع ولم تُضمن في اتباع الخواطر

(١) كتاب أبو الحسن الشاذلي ص١٧٢، للدكتور عبد الحليم محمود.

(٢) انظر: أفضل الصلوات على سيد السادات ص١٥٨ ـ ١٥٩ ليوسف النبهاني.

والإلهامات: أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه الله في قلوبهم فليس كإلهام غيرهم لأنهم معصومون بخلاف غيرهم[(١)].

والكلام هنا على إنشاء عبادة، أو أخذ حكم ابتداءً، بالاعتماد على الإلهام، وفي غير موافقة هدي الشارع، فهذا ممنوع وليس لأحد أن يقدم على مثله.

فهذا عمر سيد الملهمين: كان ﵁ يفعل الواجب عليه فيعرض ما يقع له على ما جاء به رسول الله ﷺ، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائله كما نزل القرآن بموافقته غير مرة وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك كما رجع يوم الحديبية، لما كان قد رأى مقاتلة المشركين، ذلك لأن المُحَدَّثْ يأخذ عن قلبه أشياء، وقلبه ليس بمعصوم، فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي ﷺ، ولهذا كان عمر ﵁ يشاور الصحابة ﵃، ويرجع إليهم في بعض الأمور، وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ويقررهم على منازعته، ولا يقول لهم: أنا محدث ملهم مخاطب فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضون، فأي من ادعى ـ أو ادعى له أصحابه ـ أنه ولي الله، وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا كل ما يقوله ولا يعارضوه، ويسلموا له حاله من غير اعتبار الكتاب والسنة فهو وهم مخطئون[(٢)].

فليس هناك إلهام ولا ملهم له اعتبار إزاء ما جاء به الشارع، فإن وافق الشارع قُبل لا لحجيته، ولكن لحجية الشارع، وإن خالف فليس له إلاّ عُرض الحائط.

يقول ابن حجر ﵀: وإنما ننكر أن يرجع إلى قلبه لقول لا يعرف له أصل ولا نزعم أنه حجة شرعية، فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة[(٣)].

فلا يجوز ـ لأحد ـ أن يعتقد في كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات... بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة، فإن كانت موافقة لها فهي حق وصدق وكرامة من الله سبحانه، وإن

(١) انظر: أضواء البيان ٤/١٥٩.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٢٩ ـ ٣١.

(٣) انظر: فتح الباري ١٢/٣٩٨ ـ ٣٩٩.

كانت مخالفة لشيء من ذلك فاليعلم أنه مخدوع ممكور به[1].

فالولي كرامته في متابعة النبي ﷺ، وإن خالفه فإما مخدوع، وإما أنه ولي ولكن لغير الله، فالمعول عليه هو شرع الله، والحجة لا تقوم بغير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، بل إن أوائل الصوفية يقرون بأنه لا يعول على غير الكتاب والسنة، قال أبو سليمان الداراني[2]: (ربما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياماً، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة)[3].

وهذا كلام من لم يجز لنفسه تجاوز حدود الشرع مع أنه ذاق ما يتحدث عنه القوم وهو عمدة في الطريق لكنه لا يقبل فيه ما لا يشهد له الشارع، وعن الجنيد أنه قال: مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة، وقال أيضاً: عِلمنا منوط بالكتاب والسنة، وروي مثل هذا المعنى عن أبي يزيد وعن السري السقطي، وقال النوري[4]: من رأيته يدعي مع الله ﷻ حالة تُخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه، ومن رأيته يدعي حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه في دينه[5].

فهذه هي أيضاً شهادات شيوخ الطريق الأوائل، تؤكد ما تقرر، من أن واقعات النفوس وإلهامات القلوب وخواطرها لا يعتمد عليها، وليس ثَمَّ ما يعوَّل عليه للاستدلال غير دليل الشرع.

---

(١) انظر: الولاية والطريق إليها ص٢٣٤، والكلام للشوكاني: في قطر الولي في حديث الولي.

(٢) أبو سليمان: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العبسي الداراني - وهي قرية من قرى دمشق، كان أحد العباد الصالحين، ومن الزهاد المتعبدين، ورد بغداد وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام فأقام بداريا حتى توفي سنة ٢١٥هـ أو ٢٠٥، انظر: حلية الأولياء ٩/ ٢٥٤ - ٢٨٠، رقم ٤٥٦، والرسالة القشيرية ١/ ٨٦ - ٨٨.

(٣) انظر: تلبيس إبليس ص٢٠٧.

(٤) النوري: هو أبو الحسن أحمد بن محمد النوري، بغدادي المولد والمنشأ بغوي الأصل، صحب السري، وابن أبي الحواري، وكان من أقران الجنيد، كان كبير الشأن وحسن المعاملة واللسان، وكان كثير العبادة والصوم وكان يخفيه، توفي سنة ٢٩٥هـ، انظر: الرسالة القشيرية ١/ ١١٢ - ١١٣.

(٥) انظر: تلبيس إبليس ص٢٠٧ - ٢٠٨.

المطلب الرابع

المانع من عدم الاعتماد على إلهام غير الأنبياء

❖ **وذلك لأمرين:**

الأول: إنه لا عصمة لأحد بعد النبي ﷺ، وما ليس بمعصوم لا يكون مصدراً موثوقاً يتلقى منه، ولا يصلح للاستدلال به على مدلول.

الثاني: أن الإلهام يقع للقلب، والقلب فيه أبواب ونوافذ عديدة، وهو مسرح لصولات وجولات، بل هو نفسه متقلب.

ثم إن الخواطر والهواجس ثلاثة أنواع: رحمانية، وشيطانية، ونفسانية... فلو بلغ العبد من الزهد والعبادة ما بلغ فمعه شيطانه ونفسه لا يفارقانه إلى الموت، والشيطان يجري منه مجرى الدم، والعصمة إنما هي للرسل صلوات الله وسلامه عليهم الذين هم وسائط بين الله ﷻ وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده، ومن عداهم يصيب ويخطئ وليس بحجة على الخلق[1].

ولعل أبا حامد الغزالي، حامل لواء مدرسة الكشف، هو أروع من يصور حال القلب في تعرضه للأهواء والنوازع والصوارف والخيالات، وهمزات الشيطان إذ يقول: اعلم أن القلب، مثال قبة مضروبة، لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب، ومثاله أيضاً مثال هدف تنصب إليه السهام من الجوانب، أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها، أو مثال حوض تنصب فيه مياه

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١/ ١٤٢ - ١٤٣ لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد السيد الكيلاني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، دون مزيد معلومات عن الطبعة.

مختلفة من أنهار مفتوحة إليه[1].

ثم أتبع ذلك بتفسير لهذه الأبواب والأحوال والسهام والصور والمياه المختلفة المشارب وذكر أسبابها، من هواجس النفس، ووساوس الشيطان، ومخاوف الإنسان، أو إلهام الرحمن، إلى غير ذلك مما يتعرض له القلب ولا يخلو عنه، فما أبدعه من تصوير رائع استطاع أن يرصد القلب من جهات وواجهات.

ولكن ما لا ينتهي معه العجب، هو أن يقول لك أبو حامد بعد كل هذا: اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري!! ـ فقد صار عارفاً بصحة الطريق. وإذا قلنا: كيف هذا يا أبا حامد؟ قال: من لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به[2].

قلت وأنا أعلق على هذا لا لغياب أبي حامد عن الساحة الآن، ولكن أسفاً على الغيبة التي دخلها أبو حامد وهو حي حين غلَّب عاطفته على عقله وعلمه الذي دك به حصوناً ومعاقل ظلت مستعصية قبله، ثم انتهى به الأمر بعد التصوف لتكون حجته إن لم تدرك من نفسك أو تذق فينبغي أن تؤمن، وسبحان مغير الأحوال.

والحاصل أن إلهام غير الأنبياء لا يصلح دليلاً ولا مصدراً للتلقي، وذلك كما قلنا لأن الملهمين ليست لهم العصمة، إذ العصمة خاصة بالأنبياء، ثم موقع الإلهام ومأخذه من القلب، والقلب على ما علمنا، «فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك»[3].

وإذا كانت الحال على هذا «فمن أين للمخاطَب أن هذا الخطاب رحماني، أو ملكي، بأي برهان، أو بأي دليل؟ والشيطان يقذف في النفس وحيه، ويلقي في السمع خطابه ـ وهناك خطاب خيالي ـ تكون بدايته من النفس وعوده إليها فيتوهمه من خارج»[4].

(١) الإحياء ٣/٢٦.
(٢) الإحياء ٣/٢٣.
(٣) المصدر نفسه ٣/٢٧.
(٤) مدارج السالكين ١/٤٧.

المطلب الخامس

حكم من يرى الاستغناء بالإلهام عن دليل الشرع

فيما مر معنا، تبين من مسلك القوم، فيما يتعلق بالتلقي عن الله، بالإلهام، والكشف عموماً من غير واسطة ثلاثة نواحي:

الأولى: اعتبار القوم للتلقي عن الله أو عن غيره بطريق الإلهام، بأنه أوثق مصدر لا يرقى إليه الشك، واعتبارهم للمُتَلَقِي بهذه الطريقة، بأنه من الكمَّل، ذوي المقام العالي، كما هو شأن الخضر.

الثانية: التصريح بالتزهيد في العلم الشرعي على أنه رسوم منقولة عن طريق الأموات، وأن المرغب فيه هو الأخذ عن الله الحي الذي لا يموت ولا يفوت.

الثالثة: أثبتنا نماذج من الدعوات والأذكار والصلوات على النبي ﷺ متلقاة عن الله فتحاً وإلهاماً كما زعموا، وسنذكر نماذج أيضاً من المتلقى عن الرسول ﷺ وعن غيره، وكل ذلك مما لم يأت في الكتاب ولا في السنة، زيادة على ما في بعضه من المخالفة لهما في الألفاظ والمعاني بل في المبادئ والأصول.

والناظر حين يرى من يجمع أموراً كهذه، الزهد فيما جاء به الشارع، والنزوع إلى طريق آخر بديل عنه لتلقي العلوم والمعارف والعبادات، وفوق ذلك ربما زاد بعضهم المساواة بين إلهامهم ووحي الأنبياء في اكتساب العلم وفي محله وفي سببه، وأن الفارق بين الاثنين هو مما لا يذكر، ويعلل بذلك الميل إلى الإلهام بدلاً من التعلم[1].

(١) انظر: الإحياء ٣/١٩.

فما أخطرها من دعوة وادعاء، الموازاة بين الإلهام وبين الوحي، ثم الإشادة بمسلك من يميل إلى تطلب العلم بالإلهام بدلاً من تعلم علوم الشرع.

وعلى فرض الأخذ بهذه الدعوة، فالحاصل نبذ الكتاب والسنة وطرحهما وعدم الاحتكام إليهما، وفتح باب التلاعب في شريعة الله[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن هؤلاء من لا يرى ذلك ـ تفضيل نفسه على الأنبياء ـ ولكن يرى أن له طريقاً إلى الله غير اتباع الرسول، ويسوّغ لنفسه اتباع تلك الطريق وإن خالف شرع الرسول، ويحتجون بقصة موسى مع الخضر، ولا حجة فيها لوجهين:

أحدهما: أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولا كان يجب على الخضر اتباع موسى، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل، وفي الحديث حين قابله موسى قوله: «موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم...»[2].

وأما نبينا ﷺ فإنه مبعوث إلى الناس كافة كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[3]. فمحمد ﷺ رسول الله إلى جميع الثقلين، إنسهم وجنّهم، عربهم وعجمهم، ملوكهم وزهادهم، الأولياء منهم وغير الأولياء، فليس لأحد الخروج عن متابعته باطناً وظاهراً، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق أو جليل... وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى.

الثاني: أن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة بل الأمور التي فعلها تباح في الشريعة إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك، ولو كان مخالفاً لشريعته لم يوافقه بحال[4].

والمرء ربما كان في فسحة من دينه وستر الإسلام شامله ضمن

(١) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص١٨٦.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام، البخاري مع الفتح ٦/٤٩٧، برقم ٣٤٠١.

(٣) سورة سبأ: الآية ٢٨. (٤) مجموع الفتاوى ٢/٢٣٤.

المسلمين، حتى تضيق عليه مساحة شرع محمد الواسعة، فيدفع بنفسه من على شرفاتها، معللاً ذلك بعلم خص به مما لم يذكره محمد ﷺ، وقد يتعلق في ذلك بما ليس له فيه متعلق بأن يشبه نفسه مع محمد ﷺ بحال الخضر مع موسى.

يقول شارح الطحاوية: (وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليه السلام في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني، الذي يدعيه بعض من عُدم التوفيق، فهو ملحد زنديق، فإن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته، ولهذا قال له: أنت موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين... فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه)[1].

وعلى هذا فإن زعم الاستغناء عن شرع محمد ﷺ باطل، وليس له مستند، بل إن من يدعيه فهو كمن يدعي أن له ديناً بإزاء ما جاء به محمد ﷺ، وما أسوأها من مجازفة تكون بالدين، لا يقدم عليها إلّا من خف وزن الدين عنده أو انعدم بالكلية، نسأل الله السلامة.

❊ ❊ ❊

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٥١١.

المبحث الرابع

التلقي عن النبي ﷺ عن طريق الكشف

التمهيد

❖ حول مفهوم التلقي عن النبي ﷺ:

المصدر الثاني للشريعة الإسلامية: السنة النبوية والتلقي فيها هو عن النبي ﷺ، ويكون بالأخذ بأقواله وأفعاله وتقريراته، والعمل بمتابعته في سنته وسيرته، إذ هو ﷺ المرسل بالهداية والبيان، المأمور باتباعه وطاعته كما قال عنه ربه سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(1)، وهذه هي منزلة رسول الله ﷺ في الدين، فهو المبلغ عن الله دينه ووحيه، وهو الآمر بإذن مولاه والهادي إلى الصراط المستقيم، فالإيمان به من الإيمان بالله، ومن أطاعه فقد أطاع الله ومن قبل عنه فعن الله قبل، لأجل هذا أمر الله العباد بطاعته وأوجب عليهم اتباع أمره وتصديق خبره(2): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾(3)، ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾(4). قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله(5).

وقد بلّغ الرسول ﷺ رسالته كما أمر، وترك المسلمين وقد أشهدهم

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.
(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ص١١١.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٠.
(٤) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٥) تفسير ابن كثير ٥١٨/١.

بالبلاغ على أنفسهم وعهد إليهم بكتاب الله وسنته وأنهم لن يضلوا إن تمسكوا بهما وتمت النعمة على المسلمين بهذا البلاغ للدين الكامل كما قال سبحانه ممتناً عليهم بذلك: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(1)، ومن يومها والكتاب والسنة هما مصدرا التلقي عند الأمة، إليهما يردون، ومنهما يصدرون ويأخذون دينهم عقائد وعبادات وأحكام ومعاملات.

وعلى هذا، فمفهوم التلقي عن النبي ﷺ: هو بتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن يعبد الله على ما شرع، سيان الأمر في حياته أو بعد مماته ﷺ ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾(2).

وقد بلغ ﷺ، وأمره ونهيه، وأفعاله وتقريراته، وكل شرعه محفوظ متوافر، ومنه يكون التلقي عنه بعد وفاته ﷺ.

❊ ❊ ❊

(١) سورة المائدة: الآية ٣.
(٢) سورة المائدة: الآية ٩٩.

المطلب الأول

رؤية النبي ﷺ يقظة عند بعض الصوفية، ومفهوم التلقي عنه عندهم

مذهب كثير من شيوخ المتصوفة في التلقي، إلا من رحم الله، هو على غير هذا الذي قررناه، وذلك لأنهم لا يرون قصور التلقي عن النبي ﷺ على التلقي من سنته كما هو عند بقية المسلمين، بل إنهم يرون إمكانية التلقي منه ﷺ بعد وفاته، ذلك لأن النبي ﷺ حي حياة يمكن لقاءه فيها ومحادثته وتكليمه، وبالتالي الأخذ عنه وربما مشاهدته ﷺ، إما جسداً أو روحاً، فحياته عندهم، بعد رحيله عن دنيا الناس، هي بحيث يمكن معها كل هذا.

وأما واقعة موته ﷺ في ذلك اليوم الذي لم تر المدينة أشد ظلمة منه، وما جرى يومئذ من مواقف للصحابة، وكلام صديق الأمة أبي بكر ؓ، وموقفه بعد أن قبَّله قائلاً: ما أطيبك حياً وميتاً يا رسول الله، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، وقولته المشهورة: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله تعالى فإن الله حي لا يموت، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾[1]. يقول أبو هريرة: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها[2]، وموقف عمر العجيب وما جرى له من صدمة، إذ لو كان النبي ﷺ يحدِّث بعد موته أحداً، لحدثه إشفاقاً عليه، سيما وهو المحدَّث، وما جرى بين الصحابة من النزاع فور غيابه عنهم، كل هذا، يقوم

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) انظر: مختصر السيرة النبوية ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

فهم الكثير من المتصوفة على إغفاله وإغماض الطرف عنه، وهذا هو ديدنهم في كل تعاملهم معه ﷺ، وحاصل مذهبهم أن رسول الله ﷺ يُرى بعد وفاته بل إن رؤيته علامة على علو المقام، قال في رماح حزب الرحيم: (ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة)[1].

بل إن رؤيته المعنية لا تختلف عن رؤية أصحابه ؓ، قال في الدرة الخريدة: (وأما الذي هو أفضل وأعز من دخول الجنة فهو رؤية سيد الوجود ﷺ في اليقظة، فيراه الولي كما يراه الصحابة ؓ فهي أفضل من الجنة)[2].

فرؤيته ﷺ عندهم ليست حاصلة فقط، وإنما هي بغية وغاية تنشد أكثر من نشدان الجنة، وأمنية يقول عنها القائل:

ليته خصني برؤية وجهه   زال عن كل من رآه الشقاء[3]

بل إن لهم صلوات يزعمون أن من صلى بها عليه ﷺ يراه، يقول صاحب أفضل الصلوات عن واحدة من الصلوات، المنقولة عن بعضهم: ومن الصيغ المجربة للاجتماع بالنبي ﷺ هذه الصيغة: (اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الجامع لأسرارك والدال عليك وعلى آله وصحبه وسلم) كل يوم ألف مرة ـ قال ـ ولم يذكر أن هذا الاجتماع يكون في المنام أو في اليقظة، والظاهر أنه في المنام[4].

❖ دليلهم على أن النبي ﷺ يُرى بعد موته:

لقد استدلوا على ذلك بأدلة بعضها ليس في محل الاستدلال، وبعضها متكلف ومحال، وبعضها عام، والقضية عقدية تخصيصية، ولذلك لم يحفل أهل العلم من أدلتهم في المناقشة إلا بواحد منها وهو ما تمسك به السيوطي ؒ، وذلك لأن السيوطي ؒ ربما كان أمثل القوم طريقة، إذ أنه يستدل بحديث

(١) التجانية ص١٢٧، نقلاً عن رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم ١/١٩٩.

(٢) المصدر نفسه ص١٢٨، نقلاً عن الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة ١/٤٧.

(٣) قلادة الجواهر ص٢٨١.

(٤) انظر: أفضل الصلوات على سيد السادات ص١٦٣.

وليس بواقعات أو إلهامات، وإن كان الحديث ليس صريحاً في المقصود، ومتطرق إليه الاحتمال، والمستدل به منه وجه من وجوه سبعة فُهِمَ بها الحديث.

يقول السيوطي فيما ذهب إليه: وبعد فقد كثر السؤال عن رؤية أرباب الأحوال للنبي ﷺ في اليقظة، وأن طائفة من أهل العصر ممن لا قدم لهم في العلم بالغوا في إنكار ذلك والتعجب منه، وادعوا أنه مستحيل، فألفت هذه الكراسة في ذلك وسميتها: «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك»، وتمسكت فيها بالحديث الصحيح الوارد في ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي»[1]، ثم نقل الأقوال في معنى الحديث، وأورد نقولاً للاحتمال الذي ذهب إليه عمن قال به قبله، ثم قال: (فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض، فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد إكراماً برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعي للتخصيص برؤية المثال)[2].

وهذا القول قال به قبله محمد بن ابن أبي جمرة[3] أو قريباً منه إذ قال: هذا الحديث يدل على أنه من رآه في النوم فسيراه في اليقظة، وهل هو على عمومه في حياته وبعد مماته، أو هذا كان في حياته، وهل ذلك لكل من رآه قال: اللفظ يعطي العموم ومن يدَّعي الخصوص فيه بغير مخصص منه فمتعسِّف[4].

وخلاصة القول: أنهم يتصورون حياة للنبي ﷺ يتحرك بها وينتقل ويُرى ويكلم اعتماداً على هذا الحديث، وأن من رآه في المنام يراه في اليقظة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير باب من رأى النبي ﷺ في المنام، البخاري مع الفتح ١٢/٣٩٩، برقم ٦٩٩٣.

(٢) الحاوي لفتاوي السيوطي ٢/٤٥٣.

(٣) ابن أبي جمرة: هو عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، من تصانيفه: المرائي الحسان، وبهجة النفوس، وكانت وفاته بمصر سنة ٦٩٥هـ. انظر: الأعلام ٤/٨٩.

(٤) الحاوي ٢/٤٣٨.

المطلب الثاني

مناقشة استدلالهم

لقد تعقب أهل العلم هذا الفهم والاستدلال السابق، وقرروا بأنه لا يستقيم، لأنه يترتب على القول به أمور منها بقاء الصحبة، ومنها تخلف خبر الصادق، وغير ذلك، ومناقشة هذا الدليل والاستدلال به من وجوه أربعة:

الوجه الأول: إن الحديث له روايات أخرى يتغير بها المعنى، فهناك رواية فيها: «من رآني فقد رأى الحق»[1]، وأخرى: «فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكوَّنني»[2]، وغير ذلك من الروايات، فلم التعلق برواية واحدة في محل نزاع؟.

الوجه الثاني: هذه الرواية المتمسك بها لها سبعة احتمالات[3] على أقوال أهل العلم في معنى هذه الرواية، ومعلوم أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال لا يقوى على الدلالة.

الوجه الثالث: أن السيوطي وهو من هو في حفظ السنة والمعرفة بمتونها وبطونها وكتبها وصحيحها وضعيفها، لم يأت بحديث آخر ليقوي به رأيه لا صحيح ولا ضعيف، وهذا يؤس في قيام حجة للمسألة[4].

الوجه الرابع: أن القول بالرؤية في اليقظة يترتب عليه لوازم غير صحيحة ومستحيلة منها:

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ برقم ٦٩٩٦. انظر: البخاري مع الفتح ١٢/٤٠٠.

(٢) المصدر نفسه والكتاب، والباب، برقم ٦٩٩٧.

(٣) انظر: منتهى الخارف الجاني ص٥٣ ـ ٥٤.

(٤) المصدر نفسه ص٥٢ ـ ٥٣.

١ ـ أن النبي ﷺ قد مات، فادعاء حياته بعد موته ﷺ قبل يوم القيامة مستحيل شرعاً لما يلزم منه مخالفة لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾[١].

٢ ـ ومستحيل عقلاً، يدرك فساده ببادئ العقول، إذ يلزم عليه أن يراه اثنان في مكانين في آن واحد، ما دامت الرؤيا على صورته التي مات عليها، وأن يمشي ويتحرك، فيخلو منه القبر ويسلم على القبر وهو غائب عنه، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل[٢].

٣ ـ وحمل هذا الحديث على الرؤية يقظة في الدنيا أيضاً يلزم منه ادعاء الكذب على النبي ﷺ، ذلك لقوله: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة»، فعلق الجواب على الشرط، ومن المعلوم أن جمعاً كثيراً من سلف الأمة وخلفها قد رأوه في المنام ولم يذكر أحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق ﷺ لا يتخلف[٣].

٤ ـ يلزم من هذا القول أيضاً بقاء الصحبة، إذ هي ملاقاة مع النبي ﷺ بل وأخذ عنه مع الإيمان به والموت على ذلك، وهذا لا يصفو ولا يستقيم إذ لا مزية للصحابة حالتئذٍ.

وإذا تبين هذا، علمنا أن ما يدعيه هذا الفريق من الصوفية من حياة النبي ﷺ ورؤيتهم له يقظة هو محض خرافة، يكذبها العقل والواقع والتاريخ، وأن ما بُني على هذا الباطل فهو باطل، وأن هذا من تلاعب الشياطين بهم لأنهم ليسوا على الطريقة الشرعية في عقائدهم وعباداتهم، وإلا لو كان هذا صحيحاً لحصل لأفضل الخلق بعده ﷺ وهم صحابته، لكنهم لما كانوا على الصراط المستقيم لم تطمع الشياطين في إضلالهم بمثل هذه الخرافات والبدع[٤].

---

(١) سورة الزمر: الآية ٣٠.

(٢) انظر: فتح الباري ١٢/٤٠١ حكاه عن القرطبي.

(٣) المصدر نفسه ١٢/٣٨٥.

(٤) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ص٢٥٢، نقلاً عن فتاوى الإمام محمد رشيد رضا ٥/١٨٤٥.

ولعل في هذا القدر الكفاية في مناقشة زعم المتصوفة في مصدرهم وتلقيهم وما استدلوا به، والرد عليه وتفنيده، والله أعلم.

* * *

المطلب الثالث

نماذج مما زعموا تلقيهم عنه ﷺ من الأذكار

١ ـ فمن ذلك ما حُكي عن الكتاني[١] أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله ادع الله لي ألا يميت قلبي، فقال: قل في كل يوم أربعين مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت[٢].

٢ ـ ومن ذلك ما زعمه أحمد بن إدريس شيخ الطريقة الأحمدية الإدريسية من أن النبي ﷺ (لقنه بنفسه أوراد الطريقة الشاذلية، واعطاه أوراداً جليلة وطريقة تسليكية خاصة، وقال له: من انتمى إليك فلا أكله إلى ولاية غيري ولا إلى كفالته بل أنا وليه وكفيله)[٣].

٣ ـ ومنها زعمه أيضاً أن النبي ﷺ قال له: يا أحمد قد أعطيتك مفاتيح السموات والأرض والذكر المخصوص والصلاة العظيمية والاستغفار الكبير، قال: ثم لقنها لي رسول الله ﷺ من غير واسطة فصرت ألقن المريدين كما لقنني به ﷺ[٤].

٤ ـ ومن ذلك زعم التجاني والتجانية بأن أورادهم مأخوذة منه ﷺ مباشرة يقول عن ذلك في جواهر المعاني:

---

(١) الكتاني: هو محمد بن علي الكتاني، وكنيته أبو بكر، بغدادي الأصل، صحب الجنيد والخزار والنوري، من أقواله: الشهوة زمام الشيطان فمن أخذ بزمامه كان عبده، توفي سنة ٣٢٢هـ، انظر: الرسالة القشيرية ١/ ١٥٥.

(٢) انظر: الفكر الصوفي ص٢٨٤ ـ ٢٨٥، نقلاً عن مفاتيح كنوز السموات والأرض المخزونة.

(٣) انظر: أفضل الصلوات ص١٧٠ ـ ١٧١. والمصادر العامة للتلقي ص٢٢٩، نقلاً عن المنتقى النفيس ص٩١٢.

(٤) انظر: المصدر نفسه ص١٧٢.

تجانيننا بيته بالذكر معمور ... وبالصلاة وبالخيرات مغمور

أوراده عن رسول الله قد رويت ... كذاك أفعاله والسر مأثور

ثم يقول: وهذا الذي ذكرناه هو فضل الورد الذي لازم للطريقة، الذي لقنه لسيدنا رضي الله عنه سيدنا رسول الله ﷺ، وأمره بإعطائه لكافة الخلق[١].

٥ ـ ومن ذلك زعم التجاني في (صلاة الفاتح لما أغلق) قوله: ثم أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق، فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة!![٢].

٦ ـ بل أن هناك الغريب والعجيب في هذا الباب مما يزعمون أنهم تناقشوا فيه مع النبي ﷺ وسألوه عنه، فمن ذلك مثلاً يقول أحدهم: وقع بيني وبين شخص من الجامع الأزهر مجادلة حول البيت القائل:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

وقال لي: ليس له دليل على ذلك، فقلت له: قد انعقد الإجماع فلم يرجع، فرأيت النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر جالساً عند منبر الجامع الأزهر، وقال لي: مرحباً بحبيبنا، ثم قال لأصحابه: أتدرون ما حدث اليوم؟ قالوا: لا يا رسول الله، فقال: إن فلاناً التعيس يعتقد أن الملائكة أفضل مني، فقالوا بأجمعهم: لا يا رسول الله، فقال لهم: ما بال فلان التعيس الذي لا يعيش.... يعتقد أن الإجماع لم يقع على تفضيلي، أما علم أن مخالفة المعتزلة لأهل السنة لا تقدح في الإجماع.!![٣].

إلى غير ذلك مما زعم القوم تلقيهم عنه ﷺ، ونكتفي بهذه الأمثلة منه وهو كثير.

❊ ❊ ❊

---

(١) جواهر المعاني ١/ ١٠١ ـ ١٠٢. (٢) جواهر المعاني ١/ ١٠٣.

(٣) أفضل الصلوات على سيد السادات ص١٢٥.

المطلب الرابع

قصدهم من استحداث أسطورة الكشف وزعم التلقي من خلاله

إن أذكار الشرع على ما فيها من كفاية وشمول إلا أنها يكون الولاء فيها لله ولرسوله ﷺ ويقصر تلقيها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليس فيها والحالة هذه إلا التمسك والتقيد بها والتنافس فيها، وأن يكون الناس كل الناس في مقام الاتباع.

وليس هذا ما يريده شيوخ الطرق الصوفية، فهم يودون أن يكون لهم أتباع ومريدون وجاه ونفوذ، وهو أمر لايتحقق من هذا الباب، ولذلك لجؤوا إلى باب آخر، هو الكشف وزعم التلقي من خلاله، وأنهم على اتصال بالمصطفى ﷺ وأنه ما زال يتحفهم.

فنصب كل منهم من نفسه مشرعاً لمجموعة من المريدين وكان باب الأذكار هو الذي دخل منه هؤلاء للتشريع للأتباع والمريدين، فوضع كل منهم لأتباع طريقته منهاجاً خاصاً في الذكر، وكان لا بد أن يضفي على ذكره الخاص هالة من التقديس، ومن ثم كان التنافس بينهم لجذب المريدين، فمنهم من زعم أن ذكره الخاص قد أخذه من الرسول مناماً ومنهم من ادعى أنه أخذه من الرسول يقظة ومنهم من زعم أن الخضر هو الذي أوحى إليه بالذكر، وهكذا[1].

❖ مثالان لتوضيح القصد من هذا الزعم:

وأورد هنا مثالين يتبين منهما ما يريده هؤلاء من لجوئهم إلى هذا الباب، من الجاه وحظوظ النفس، والنفوذ الروحي، وجذب الأتباع.

---

(١) انظر: الفكر الصوفي ص٢٨٣.

○ المثال الأول:

يقول التجاني: أخبرني سيد الوجود ﷺ يقظة لا منامًا، قال لي: أنت من الآمنين وكل من رآك من الآمنين إن مات على الإيمان، وكل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها، وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب... فلما رأيت منه هذه المحبة ﷺ سألته لكل من أحبني ولم يعادني بعدها، ولكل من أحسن إلي بشيء من مثقال ذرة فأكثر، ولم يعادني بعدها، وأكد ذلك من أطعمني طعامه كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ... وسألته ﷺ لكل من أخذ عني ذكراً أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر وأن تؤدي عنهم تبعاتهم من خزائن فضل الله لا من حسناتهم، وأن يرفع عنهم محاسبته على كل شيء!!؟ وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة.... فقال ﷺ: ضمنت لهم هذا كله ضمانة لا تنقطع حتى تجاوروني أنت وهم في عليِّين.... وأن من رآني فقط غايته يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ولا يعذب، ولا مطمع له في عليِّين!!؟ إلا أن يكون ممن ذكرتهم وهم أحبابنا ومن أحسن إلينا، ومن أخذ عنا ذكراً[1].

○ المثال الثاني:

يقول محمد عثمان الميرغني[2]: قال لي رسول الله ﷺ: من صحبك ثلاثة أيام لا يموت إلا ولياً..... - ويقول عن نفسه - ومن رآني، أو رأى من رآني إلى خمس لم تمسه النار!! قال لي به جدي عليه أفضل الصلاة والتسليمات الزكية[3].

---

(١) جواهر المعاني ١/٩٧ - ١٠٠.

(٢) الميرغني: هو محمد عثمان بن أبي بكر بن عبد الله المحجوب، ولد بالطائف سنة ١٢٠٨هـ يقول عن نسبه أنه ينتهي إلى آل البيت، أخذ الطريق عن أحمد بن إدريس، وله تنسب الطريقة الختمية المنتشرة بالسودان، انتقل إلى مصر، ثم توجه إلى السودان فاستقر في الختامية بكسلا، من مؤلفاته: تاج التفاسير لكلام الكبير توفي سنة ١٢٦٨هـ، انظر: الأعلام ٦/٢٦٢.

(٣) انظر: المصادر العامة للتلقي ص٢٣٤، نقلاً عن مناقب صاحب الراتب ١٠٢ - ١٠٣.

❖ **جرأة المتبوعين وغفلة الأتباع:**

قلت: سبحان الله ما أوسع حلمه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾[1]، كيف يضمن من رأى هؤلاء دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب، ويأمن من العذاب، وعدم مس النار، بل ويكون ذلك لمن رأى من رآهم، إلى خامس، وتكفي صحبة أحد هؤلاء لثلاثة أيام ليضمن المرء الموت على الولاية!!!؟؟.

والرسول ﷺ وهو أفضل الخلق وأشرف من مشى على وجه الأرض الشافع المشفع لم يكن له هذا، فها هو يقول بأعلى صوته ومن على قمة الصفا لأقرب الناس إليه أمام مجمع الناس ومسمعهم: «ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»[2].

وأصحاب النبي ﷺ الأنقى سريرة والأطهر سيرة من اختارهم الله لصحبة نبيه وقام كيان الدين على جهدهم وجهادهم، لم يضمن لهم رسول الله ﷺ الجنة كما ضمنها لمن أخذ ورد التجاني أو رآه وأحبه، أو أطعمه، أو أحسن إليه بمثقال ذرة، وكما ضمنها ﷺ على زعمهم لمن رأى الميرغني، أو رأى من رآه، إلى خامس مرئي رآه.

وعند الوقوف على مثل هذه المزاعم، ينتاب المرء شعوران، ففي الوقت الذي يعجب فيه من جرأة هؤلاء في تفضيل أذكارهم على ما جاء به الشارع، وفي رفع أنفسهم إلى منزلة لم تكن للمصطفى ﷺ، ووقاحتهم إذ يزعمون بأنه ﷺ هو الذي شهد لهم بذلك، ثم عدم الحياء حين يدعون حبهم له ﷺ مع هذا كله، فكم يأسف المرء ويحز في نفسه ويعز عليها أن ينطلي كل هذا على مسلمين، ويكون لأمثال هؤلاء أتباع من أمة محمد ﷺ وأحبابه، وما أغربه من أمر، جرأة من المتبوعين، وغفلة في الأتباع.

فوا عجبي كم يدعي الفضل ناقص   ووا أسفي كم يظهر النقص فاضل

(١) سورة فاطر: الآية ٤٥.

(٢) الحديث سبق تخريجه في ص٣٣٩. مع الفتح ٨/ ٣٦٠.

المبحث الخامس

التلقي عن غير الله ونبيه عن طريق الكشف

التمهيد

❖ **سعة التلقي الكشفي:**

لم يقتصر التلقي الكشفي عند القوم في التلقي عن الله ونبيه ﷺ، بل جاوز أيضاً إلى التلقي عن غيرهما، وكانت شخصية الخضر هي المحور في ذلك، فقد يتلقون منه ويلتقون به في زعمهم بحضرة النبي ﷺ، أو بمفرده، وقد عوَّلوا على الخضر عليه السلام كثيراً سواء في التلقي عنه أو في الاقتداء به في تحصيله للعلم اللدنِّي من الله بلا واسطة كما سبق معنا مراراً.

ولشدة اهتمام القوم بشخصية الخضر وتعويلهم عليه فقد نوقشت أمور تتعلق به، منها اسمه ونسبه، وهل هو نبي أم ولي، وهل هو حي أم ميت، وفي كل ذلك خلاف[1] ونزاع، وسأكتفي بإشارات يسيرة إلى هذه الأمور، إذ المهم هنا، هو قضية التلقي عن طريق الكشف، وبطلانها، بغض النظر عن المتلقى عنه، مع بيان مقصد المتصوفة من الميل إلى هذا المنحى، ولذلك سأنهي هذا المبحث بما يلي:

١ ـ الخضر اسمه ونسبه.

٢ ـ هل هو نبي أم ولي؟

٣ ـ حي هو أم ميت؟

٤ ـ نماذج من الأذكار المتلقاة عنه في زعمهم.

٥ ـ ما يعنيه الخضر عند القوم.

(١) انظر: فتح الباري ٦/ ٤٩٩.

المطلب الأول

الخضر اسمه ومولده ونسبه

الخضر هو بَليا بفتح الموحدة، وقيل: اسمه إلياس، وقيل: خضرون ـ والأوّل أثبت ـ ابن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفشخد بن سام بن نوح، عليه الصلاة والسلام، وكنيته أبو العباس، فعلى هذا مولده قبل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام؛ لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم، وهناك أقوال على أنه ابن آدم من صلبه، أو أنه ابن قابيل بن آدم، وأقوال أخرى حول اسمه واسم أبيه، فقيل عن اسمه أنه ـ أرميا ـ وعن أبيه: عماميل أو قابل إلى غير ذلك، والأشهر أنه ملكان كما ذكرناه أولاً[١].

والأقوال كثيرة حول اسمه ونسبه، وليس ثم ما يرجح شيء منها، إذ لم يثبت شيء في ذلك من النصوص اللهم إلا تسميته أو وصفه بالخضر كما في الحديث الذي أخرجه البخاري عن عبد الله بن عباس قوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ قال: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلى عبدنا خضر...» إلخ الحديث[٢].

❋ ❋ ❋

(١) انظر: البداية والنهاية ٢/٢٤٣ ـ ٢٤٤، وفتح الباري ٦/٤٩٩ ـ ٥٠٠.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام برقم ٣٤٠٠ مع الفتح ٦/٤٩٧.

المطلب الثاني

الخضر نبي هو أم ولي؟

في هذه الناحية أيضاً نقاش؛ لأن المصرح به في النصوص أنه أوتي علمًا من لدن العليم الخبير سبحانه، وأنه من خواص عباد الله كما في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[١].

وفي الحديث السابق الذي يقص فيه الرسول ﷺ عتب المولى سبحانه على نبيه موسى عليه السلام حين قال: بأنه ليس من هو أعلم منه فأوحى إليه: «بلى عبدنا خضر»، ففيه أنه كان أعلم من موسى فيما خصه الله به، وقد نقل ابن حجر الخلاف في كونه نبي أم ولي، وذكر أن أكثر أهل العلم على أنه نبي، ثم يؤكد القول بنبوته فيقول: (والآية تشهد بذلك لأن النبي لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء)[٢].

أما الصوفية فهم على القول بأنه ولي، يقول في الرسالة القشيرية عنه: وما كان يعلمه مما خفي على موسى عليه السلام كل ذلك أمور ناقضة للعادة اختص الخضر عليه السلام بها ولم يكن نبياً وإنما كان ولياً[٣].

والمتصوفة يقولون بولاية الخضر ليرتبوا على ذلك ما يميل إليه الكثير منهم من أن الولاية أفضل من النبوة، وهذه ذريعة إلى الزندقة[٤].

وليس لهم من دليل يرجحون به ما ذهبوا إليه سوى هذا المقصد، بل الاستدلال على خلاف ما ذهبوا إليه.

(١) سورة الكهف: الآية ٦٥. (٢) انظر: فتح الباري ٦/٥٠٠.

(٣) الرسالة القشيرية ٢/٦٦٨.

(٤) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص٤٧٨.

يقول ابن كثير: وقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾[1].

الثاني: قول موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠﴾[2].

فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد هو على موسى هذا الرد، ولو كان غير نبي لم يكن معصوماً ولما طلب موسى صحبته وإفادة العلم من غير المعصوم، وموسى نبي كريم كليم معصوم، ثم إنه لو كان ولياً لما جزم بإلهامه وخواطره حتى يقدم على خرق وقتل، بل هذا مما يؤكد نبوته وعصمته، وأنه مؤيد بالوحي[3].

ثم إنه عند بيانه لموسى حقيقة الأمر يقول: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾، فكأنه مسدد بالوحي وموسى يعلم ذلك، وبهذه الأدلة والاستنباطات فالأرجح أنه نبي والله أعلم.

* * *

(١) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(٢) سورة الكهف: الآيات ٦٦ ـ ٧٠.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

المطلب الثالث

الخضر حي هو أم ميت؟

وهذه الناحية المتعلقة بكونه حي أو ميت باق إلى الآن، هي أكثر عرضة للنزاع والخلاف من سابقتيها والناس فيها على قولين:

القول الأول: أنه حي، وذلك لأنه شرب من عين الحياة، وقيل لأنه هو الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه فلا يموت إلا عند نفخ الصور، وقيل: مد له في أجله حتى يكذب الدجال وأن الذي يقتله الدجال ثم يحييه هو الخضر إلى غير ذلك من الأقاويل والحكايات[1].

وهذا متفق عليه عند الصوفية وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه... ووجوده أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر[2].

بالإضافة إلى الاستدلال ببعض الروايات من الأحاديث العديمة الصحة والموضوعة، البينة الكذب، يقول عنها ابن الجوزي رحمه الله: الأحاديث التي يذكر فيه الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد[3].

وقد أورد ابن كثير في البداية والنهاية، جل هذه الروايات والحكايات والآثار وذكر أقوال أهل العلم فيها وتعقبهم لها، وبيان أسباب ضعفها وعللها ثم قال: وهذه الروايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد، وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس

(١) انظر: فتح الباري ٦/ ٥٠٠.

(٢) انظر: النووي في شرح مسلم ١٥/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٣) انظر: المصادر العامة للتلقي ص٤٣٠، نقلاً عن المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص٦٧.

بمعصوم ويجوز عليه الخطأ[1].

القول الثاني: أن الخضر مات وأنه لم يدرك زمان النبي ﷺ فضلاً عن بقائه إلى اليوم، وقد قال بهذا جمع من العلماء منهم البخاري، وأبو جعفر بن المنادي[2]، وإبراهيم بن الحربي[3]، وأبو بكر بن العربي، وابن الجوزي، وابن كثير، وغيرهم[4].

وقد استدلوا بأدلة عامة وخاصة، فمن الأدلة العامة:

قوله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾[5]. فالخضر إن كان بشراً، فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله[6].

ومنها أن الله تعالى قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[7]، فالخضر إن كان نبياً أو ولياً فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حياً في زمن رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن به وينصره، ولكان من جملة أمته فجاء إليه واتبع شرعه[8].

---

(١) البداية والنهاية ٢/ ٢٥٠ ـ ٢٦٤.

(٢) ابن المنادي: هو أحمد بن جعفر بن محمد أبو الحسيني ابن المنادي عالم بالتفسير والحديث، ولد في سنة ٢٥٦هـ، وكان كثير التصانيف، جمع بين الرواية والدراية، توفي سنة ٣٣٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٢، والأعلام ١/ ١٠٧.

(٣) الحربي: هو إبراهيم بن إسحاق الحربي البغدادي، هو من الأعلام من أصحاب أحمد، ولد سنة ١٩٨هـ، كان عالماً بالحديث عارفاً بالأحكام، صاحب زهد، من مؤلفاته: غريب الحديث، ومناسك الحج، توفي ٢٨٥هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥٦ ـ ٣٧٣، والأعلام ١/ ٢٣.

(٤) انظر: فتح الباري ٦/ ٥٠٠، والبداية والنهاية ٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٨.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٣٤. (٦) البداية والنهاية ٢/ ٦٥.

(٧) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٨) البداية والنهاية ٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٨ وفتح الباري ٦/ ٥٠٠ ـ ٥٠١.

وثمة أدلة خاصة تقطع بموته: منها حديث ابن عمر قال: صلى بنا رسول الله ﷺ العشاء في آخر حياته فلما سلَّم قام فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد»[1].

وما رواه جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول قبل موته بشهر: «تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله، وأُقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة»[2]. يقول النووي: هذه الأحاديث فسر بعضها بعضاً، وفيها عَلم من أعلام النبوة، والمراد أن كل نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها فوق مائة سنة، ومعنى منفوسة أي مولودة، وفيه احتراز من الملائكة، وقد احتج بهذه الأحاديث من شذ من المحدثين فقال: الخضر ﵇ ميت، والجمهور على حياته... ويتأولون هذه الأحاديث على أنه كان على البحر لا على الأرض، أو أنها عام مخصوص[3].

وهذا المذهب الذي يميل إليه النووي ﵀ لا يقوم على دليل سوى الحكايات والرؤى المشتهرة التي أشار إليها على عكس رأي القائلين بموت الخضر الذي تقويه أدلة العقل والنقل، يقول ابن الجوزي ﵀ معلقاً على الحديثين السابقين: فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر... فالخضر إن لم يكن أدرك زمان رسول الله ﷺ كما هو المظنون الذي يترقى في القوة إلى القطع فلا إشكال، وإن كان قد أدرك زمانه فهذا الحديث يقتضي أنه لم يعش بعده مائة سنة، فيكون الآن مفقوداً لا موجوداً، لأنه داخل في هذا العموم، والأصل عدم المخصص له حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله والله أعلم[4].

وبالنظر إلى القولين وما اعتمدا عليه، يتبين البون الشاسع بينهما، فبينما

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب العلم باب السمر في العلم برقم ١١٦، انظر: مع الفتح ١/ ٢٥٥، ومسلم مع النووي ١٦/ ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، انظر: مع شرح النووي ١٦/ ٩٠ ـ ٩١.

(٣) شرح النووي على مسلم ١٦/ ٩٠.

(٤) البداية والنهاية ٢/ ٢٧٠.

يتشبث القول الأول بما لا يعول عليه في الاستدلال، نجد القول الثاني يقوم على ما يصح الاستدلال به شرعاً وعقلاً مما يجعله هو الرأي الراجح، إذ الحجة إنما هي لدليل الشارع المعصوم، ولا عبرة لغيره بإزائه.

أما هذه الأخبار عن رؤيته واللقيا معه، فلا يخلو الزاعم بها من أن يكون رأى شيطاناً لبَّس عليه، أو أن يكون ذلك خيالاً ظنه حقيقة، أو أن يكون كاذباً والله أعلم[١].

* * *

(١) المصادر العامة للتلقي ص٤٧٤.

المطلب الرابع

نماذج من الأذكار المتلقاة عن الخضر في زعمهم

١ ـ منها ما جاء عن إبراهيم بن أدهم: أنه رأى في البادية رجلاً علمه (الاسم الأعظم) فدعا به بعده فرأى الخضر عليه السلام، وقال: إنما علمك أخي داود اسم الله الأعظم[١].

٢ ـ ومن ذلك الصلاة الإدريسية يقول صاحبها: اجتمعت بالنبي ﷺ اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام، فأمر النبي ﷺ الخضر أن يلقنني أوراد الطريقة الشاذلية فلقننيها بحضرته ثم قال ﷺ للخضر رضي الله عنه: يا خضر لقنه ما كان جامعاً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار وأفضل ثواباً وأكثر عدداً[٢].

٣ ـ ومن ذلك أن الخضر هو الذي لقن الوقوف العددي والذكر الخفي[٣] وعلم كيفيته للنقشبندية[٤].

إلى غير ذلك مما ذكر فيه القوم وشيوخهم الالتقاء به والتلقي عنه والإكثار من ذكره والدندنة حول كراماته وعجائبه وعلومه.

* * *

(١) الرسالة القشيرية ١/٥١ ـ ٥٢.
(٢) أفضل الصلوات على سيد السادات ص١٧١.
(٣) انظر: الكلام عن النقشبندية في فصل نشأة الذكر البدعي ص٣٢٦.
(٤) انظر: المصادر العامة للتلقي ص٢٥٩، نقلاً عن المواهب السرمدية ص٧٧.

المطلب الخامس

ما يعنيه الخضر عند القوم

والحاصل من كل ما سبق من قول الصوفية، في أن الخضر وليّ وهو على علم لدني خاص يفوق النبي، ثم هو حي معمَّر، ثم هم على اتصال به ويتلقون منه، ويأخذون عنه، فالمقصد من ذلك أمران كلاهما غاية في السوء:

الأمر الأول: اتخاذ هذا الباب ذريعة للتحلل من الشريعة والخروج عنها بدعوى العلم اللدني الباطن الذي يبرر للولي التصرف بمقتضاه، وإن خالف الشرع الظاهر الذي جاء به النبي ﷺ، وعليه فالخضر يمثل عند القوم منهجاً وشارة ومصطلحاً، وليس هو مقصود لشخصه، فهنا نجد مثلاً أحد صغار القوم يتطوع بكشف هذا المعنى فيقول: القوم رضوان الله تعالى عليهم يطلقون اسم موسى عليه السلام في اصطلاحهم على العقل، لمناسبة بينهما، وهي تنظيم الملك وسياسته وتدبيره وتنظيم العلاقات مطلقاً... وهذه الأشياء هي فحوى الرسالات السماوية ومهمة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين، وهي عامة، وهذه الأمور هي نفس مهمة العقل... ولهذا فإنا نرمز على ظاهر الشرع بموسى ثم نستعير هذا الاسم للعقل... وكذلك نرمز بالخضر عليه السلام على الروح؛ لأنه عليه السلام كلما حل في مكان اخضر مكانه[1].

فموسى رمز للعقل والظاهر، والخضر رمز للروح والباطن، ومهمته هي غير مهمة الرسل القاصرة على تنظيم الملك، وتدبير السياسة وتحديد العلاقات.

وكفى باعتقاد كهذا في مهمة الرسل، وفحوى الرسالات ضلالاً وزيغاً نسأل الله السلامة والعافية.

(١) تاج الأولياء والأولياء ص٧٥، علي زين العابدين الطبعة الأولى ١٩٨٤م، مكتبة دار الهلال.

الأمر الثاني: اتخاذ قضية بقاء الخضر صاحب العلم اللدني واللقاء به، باباً للتشريع ومصدراً وسنداً لما يعن للشيوخ إضافته من الأفكار والأذكار وغير ذلك، وهذا حاصل وكثير، وهو استبدال للشرع بهذا الجديد المضاف، أو استدراك على الشرع ما فاته مما هو ضروري وتتوقف عليه هذه المزايا والأجور، على ما زعموا!!!.

ويبطل هذا ما ذكرناه من بطلان الأساس الذي قام عليه هذا الاتجاه، وهو القول بالكشف والاعتماد على الإلهام، بالإضافة إلى ما اتضح لدينا من موت الخضر عليه السلام، وقبل ذلك كله ما تقرر في هذا الدين بأنه لا مشرع بعد المصطفى ﷺ، ولا متبع إلا هو، وأن الدين قد اكتمل قبل رحيله عليه الصلاة والسلام، والله أعلى وأعلم وأجل.

* * *

الخاتمة

* **وبعد:**

فقد وصل البحث إلى نهاية الخطة التي كانت موضوعة له وفق الاجتهاد، ولم يصل إلى نهاية المراد، وما تم في البحث لا بد فيه من قصور وخلل كطبيعة كل ما يقوم به الإنسان من عمل، فالعصمة خُصَّ بها الأنبياء، وأما الكمال فالخلق كلهم عنه بمعزل، والمقام هنا لذكر أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث بإيجاز وهي كما يأتي:

١ - إن كمال هذا الدين يتضح في كل جزئية منه، يتصدى لها باحث ما.

٢ - إن كمال هدي الشارع في الذكر يبرز في ناحيتين: الأولى في سعة المفهوم الشرعي للذكر سعة يتضح منها صلة الكون كله وما فيه بالله، والثانية في الشمولية التي يلمسها المسلم فيما جاء به هدي الشارع من الأذكار، فهي بحيث لا تنفك عنه بليل أو نهار إلا في حال إحدى الموتتين.

٣ - تبين لي بأن خلاف أهل العلم في تعريف البدعة لفظي لا تقوم عليه حجة لأهل الأهواء، وإن ألين الفريقين من أهل السنة هم أدنى العدو لأهل التعاطي والابتداع في الدين.

٤ - إن الذكر الشرعي يتحقق به التوحيد على أتم الصور.

٥ - إن التقيد بالأذكار الشرعية فيه أداء لحق الله على عباده، ووفاء بحق الرسول ﷺ على أمته، وفيه نصح للدين.

٦ - إن التقيد بالأذكار الشرعية له فوائد وآثار إيجابية في معاش المسلمين ومعادهم بالإضافة لما فيه من توحيد للأمة في التلقي، والعصمة لها من التمزق.

٧ - إن الابتداع في الأذكار ظهر بعد مضي القرون المفضلة.

٨ - إن المبتدعة حصروا فهم الذكر في الأوراد، والأحزاب، وعزلوه عن بقية تكاليف الدين وانعزلوا به عن شؤون الحياة وعن بقية جماعة المسلمين.

٩ - إن في الذكر البدعي إضاعة لحق الله على عباده، وخيانة للرسول ﷺ، وقطع للطريق أمام رسالته، وصرف للأمة عن شرع المصطفى وحوضه.

١٠ - إن في الذكر البدعي تعليق للناس بغير رب الناس، وفيه تبعية لغير المعصومين، ومن ثم إضاعة للأعمار، وشغل بغير المنجي من الأعمال، وطلب للرضا في مظان السخط.

١١ - إن في الاشتغال بأعداد الألوف من الأذكار البدعية، فوق ما فيه من الابتداع، ففيه إضعاف للأمة وتبديد لطاقاتها، وتضييع العيال، وإثقال للجسد للمسلم بمزيد من العالة.

١٢ - إن مصدر الذكر الشرعي هو وحي الله، ومصادر الذكر البدعي أهواء البشر، وشتان بين المصدرين.

١٣ - تبين لي من خلال البحث أن الذكر الذي عوّل عليه المبتدعة في الغالب، ليس هو الذكر الذي جاء به الشرع، لا في المفهوم والمضمون، ولا في الممارسة والشروط، ولا في النتيجة والغاية، فهم أخذوا من الشرع مكانة الذكر، ولم يأخذوا منه نفس الذكر، وجعلوا من ترغيب الشارع في الذكر، غلافاً للبضاعة التي صنعوا.

وفي الختام، إني لأحمد ربي وأشكره، وأذكره ولا أكفره، فالفضل منه أوله وآخره، ثم إني لأرجو منه سبحانه ثقة به وطمعاً في فضله الواسع أن يكون في عملي هذا بعضٌ مما رغبت فيه، وأن أكون به في عداد الذاكرين الذين لا يشقى جليسهم.

وصلَّى الله على نبي الهدى والرحمة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلَّم.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات الكريمة .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأعلام .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات الكريمة

الآيــــة	رقــم	الصفحة

١ ـ سورة الفاتحة

قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾	٥	١٠١ ـ ١٠٢

٢ ـ سورة البقرة

﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾	٣٠	٧٩
﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم﴾	٣٨	٣٤
﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك﴾	٧٤	٢٧٩
﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾	٧٩	٢٢
﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾	١٠٢	٢٧٤
﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾	١١١	١٧٩
﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾	١١٢	١٥١
﴿الذين آتينهم الكتاب يتلونه﴾	١٢١	١٩٩
﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي﴾	١٥٢	٢٩ ـ ٣٠ ـ ٥٨ ـ ١٥٠
﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا﴾	١٥٦	٢٠٠
﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو﴾	١٦٣	١١٩
﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله﴾	١٨٥	١٥٣ ـ ١٥٤
﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾	١٨٦	١٥٢
﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله﴾	١٩٨	١٠١
﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله﴾	٢٠٠	١٠٤ ـ ١٥٤ ـ ١٥٥ ـ ١٥٣
﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾	٢١٦	١٥٧
﴿قالوا ربنا أفرغ علينا صبرًا﴾	٢٥٠	١٥٨

الآيــــة	رقــم	الصفحة
﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾	٢٥٥	١١٦ ـ ١٢٩ ـ ٢٠٠ ـ ٢٣١
﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾	٢٦٠	٢٦٤
﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾	٢٨٥ ـ ٢٨٦	٢٠٠

٣ ـ سورة آل عمران

﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة﴾	٧	٣٣
﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة﴾	١٨ ـ ١٩	١١٨
﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾	٣٢	٢٢٣
﴿وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب﴾	٧٩	١٧٨ ـ ٣٧٣
﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾	٨١	٤٣٠
﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾	١١٠	٣٢٢
﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾	١٣٢	٣٦
﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾	١٣٥	٢٥
﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾	١٤٤	٣٨٧ ـ ٤١٤
﴿فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله﴾	١٧٣	١٤١
﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾	١٨٥	١٧٣ ـ ٢٦٣
﴿إن في خلق السموات والأرض﴾	١٩٠	١٢٩

٤ ـ سورة النساء

﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله﴾	٥٩	١٧٩ ـ ٣٧٦ ـ ٣٩٥ ـ ٤١٢
﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك﴾	٦٥	٣٣ ـ ٣٦
﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر﴾	٨٣	٢٠٩
﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله﴾	١٠٣	١٠٤ ـ ١٥٤
﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾	١٠٥	١٩٥
﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله﴾	١٠٨	١٥٢
﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى﴾	١١٥	٣٣ ـ ١٩٣
﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح﴾	١٦٣ ـ ١٦٤	٤٠٢

الآيـــــة	رقـم	الصفحة
٥ ـ سورة المائدة		
﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾	٣	١٩ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣٣ ـ ٣٧٥
﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾	١٥	٣٤٨ ـ ٣٥٠
﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه﴾	١٦	٤٠٠
﴿وقالت اليهود والنصارى﴾	١٨	١٩٥
﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾	٦٧	٢٠ ـ ٣٧٢ ـ ٣٩٥
﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾	٩٩	٤١١
﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي﴾	١١١	٣٩٣ ـ ٤٠٣
﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾	١١٦	٣٧٣
٦ ـ سورة الأنعام		
﴿وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به﴾	١٩	١٨٦
﴿مافرطنا في الكتاب من شيء﴾	٣٨	٧١ ـ ٣٨٧
﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾	٥٠	٢٦٦
﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾	٥٩	٢٦٨
﴿وما قدروا الله حق قدره﴾	٩١	٣٦٧
﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾	٩٥ ـ ٩٨	١١٥
﴿أفغير الله ابتغي حكماً﴾	١١٤	١٨٦
﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورًا﴾	١٢٢	١٦٩ ـ ١٧٢
﴿وأن هذا صراطي مستقيماً﴾	١٥٣	٢٢٣ ـ ٢٩٠
﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي﴾	١٦٢ ـ ١٦٣	١١٧ ـ ١٥٥
٧ ـ سورة الأعراف		
﴿الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً﴾	٥١	٢٣٧
﴿ألا له الخلق والأمر﴾	٥٤	٢٢٢
﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾	٥٥	٢٠٢
﴿يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾	٥٩	١٢٠
﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾	٨٩	١٦٢
﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم﴾	١٥٨	١٨٧

الآيـــــة	رقـم	الصفحة
﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾	١٨٠	١١٦ ـ ١٦٥ ـ ٢٠١
﴿ولو كنت أعلم الغيب لا استكثرت﴾	١٨٨	٢٦٦
﴿واذكر ربك في نفسك﴾	٢٠٥	١٠٥ ـ ٢٠٢
٨ ـ سورة الأنفال		
﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت﴾	٢	١٧٣ ـ ٢٠٢
﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾	٧	٢٦٣
﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله﴾	٢٠	٣٦ ـ ٤١٢
﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾	٤٥	١٥٧ ـ ١٩٨
٩ ـ سورة التوبة		
﴿وإن أحد من المشركين استجارك﴾	٦	٣٤٩
﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا﴾	٣١	١١٧ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧
﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾	١١١	٦٠
﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾	١٢٨	٢٨٩
١٠ ـ سورة يونس		
﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾	٣١	١١٥ ـ ١١٦
﴿وما تكون فيه من شأن﴾	٦١	١٥٢
١١ ـ سورة هود		
﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾	٣	١٧٠
١٢ ـ سورة يوسف		
﴿وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة﴾	٤٥	٢٨
﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾	٧٦	٩٣
١٣ ـ سورة الرعد		
﴿وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾	١٣	٣٤٩
﴿قل من رب السموات والأرض﴾	١٦	١١٥
﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية﴾	١٧	١٨٠

الآيـــــة	رقـم	الصفحة
﴿الذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾	٢٨	١٦٤ ـ ١٧١ ـ ١٧٣ ـ ٢٠٢

١٤ ـ سورة إبراهيم

الآيـــــة	رقـم	الصفحة
﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة﴾	٢٤ ـ ٢٥	٨٢ ـ ١١٨
﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾	٢٨	٢٣ ـ ٣٨١
﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾	٣٤	٩٢

١٥ ـ سورة الحجر

الآيـــــة	رقـم	الصفحة
﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾	٩	٢٣ ـ ٢٦ ـ ١٧٩ ـ ٣٧٦

١٦ ـ سورة النحل

الآيـــــة	رقـم	الصفحة
﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾	١	١٢٤
﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس﴾	٤٤	٣٩٥
﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾	٥٣	٩٢
﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾	٦٨	٣٩٣
﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى﴾	٩٧	١٧٠
﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾	٩٨	١٩٩
﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم﴾	١٢٣	٣٣

١٧ ـ سورة الإسراء

الآيـــــة	رقـم	الصفحة
﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم﴾	٣٦	٢٦
﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾	٤٤	٥٨
﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾	٤٦	٢٠١
﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر﴾	٧٨	١٠٣ ـ ١٩٩
﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾	١١٠	٢٠٢

١٨ ـ سورة الكهف

الآيـــــة	رقـم	الصفحة
﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾	١٣	٤٠٠
﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾	٢٧	٧٠
﴿واضرب لهم مثل الحياة كماء أنزلناه﴾	٤٥	١٧٤
﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة﴾	٦٥ ـ ٦٩	٣٩٧ ـ ٤٢٧

الآيـــــة	رقـم	الصفحة
﴿هل أتبعك على أن تعلمني﴾	٦٦	٣٣ ـ ٤٢٨
﴿فإن اتبعتني فلا تسألني﴾	٧٠	٣٣ ـ ٤٢٨
﴿فأتبع سبباً﴾	٨٥	٣٢
﴿ثم أتبع سبباً﴾	٨٩	٣٢
﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم﴾	١٠٧	٦٠
﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾	١١٠	٢٦٦ ـ ٣٧٣

١٩ ـ سورة طه

الآيـــــة	رقـم	الصفحة
﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾	٤ ـ ٨	١٦٥
﴿أقم الصلاة لذكري﴾	١٤	٥٥ ـ ١٤٩
﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾	٥٠	٨٢ ـ ٨٣
﴿وقل رب زدني علماً﴾	١١٤	٩٣
﴿ومن أعرض عن ذكري﴾	١٢٤	٢٦ ـ ١٧١ ـ ١٨٧

٢٠ ـ سورة الأنبياء

الآيـــــة	رقـم	الصفحة
﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾	٢٢	٨٢
﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾	٢٥	١١٠
﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾	٣٤	٢٠ ـ ٣٨٧ ـ ٤٣٠
﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾	٥٠	٢٦ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ١٩٩
﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾	٨٣ ـ ٨٤	٢٠٠
﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً﴾	٨٧ ـ ٩٠	٢٠١
﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾	٩٠	٩٢

٢١ ـ سورة الحج

الآيـــــة	رقـم	الصفحة
﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾	١١	٢٦٣
﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾	٢٨	١٠٣
﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾	٣٤ ـ ٣٥	١٧٣

الآيـــة	رقـم	الصفحة
٢٢ ـ سورة المؤمنون		
﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾	٨٦ ـ ٨٧	١١٦
﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾	١١٧	٢٠١
٢٣ ـ سورة النور		
﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾	١١ ـ ٢٠	٢٦٧ ـ ٢٦٨
﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾	٣٦	١٠١
﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾	٣٧	٥٧ ـ ١٥٩
﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾	٤٥	١٦٩
﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾	٥٤	٣٦
﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾	٦٣	٢٢٣
٢٤ ـ سورة الفرقان		
﴿تبارك الذي نزل الفرقان﴾	١	١٨٦
﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل﴾	٢٣	٣٦٠
٢٥ ـ سورة النمل		
﴿أمَّن جعل الأرض قراراً﴾	٦١	١٦٦
﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾	٦٥	٢٦٥
﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء﴾	٨٠	١٧٠
٢٦ ـ سورة القصص		
﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾	٧	٣٩٣ ـ ٤٠٣
﴿وما كنت بجانب الغربي﴾	٤٤	٣٥٦
٢٧ ـ سورة العنكبوت		
﴿الم أحسب الناس أن يتركوا﴾	١ ـ ٣	١٥٧
﴿اتل ما أوحي إليك من الكتب﴾	٤٥	٣٠ ـ ٥٥ ـ ١٥٠
﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾	٦٤	١٧٥

الآيـــة	رقـم	الصفحة
٢٨ ـ سورة الروم		
﴿أولم يتفكروا في أنفسهم﴾	٨	١٤٧
﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾	٢٧	٢٠١
٢٩ ـ سورة لقمان		
﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾	٦	٢٣٦
﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن﴾	٢٢	١٥١
٣٠ ـ سورة السجدة		
﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾	١٦	٩٢
٣١ ـ سورة الأحزاب		
﴿والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً﴾	٣٥	١٩٨
﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾	٤١ ـ ٤٢	١٩٨
﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾	٤٥ ـ ٤٦	٣٥٠
٣٢ ـ سورة سبأ		
﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه﴾	٢٠	٣٣
﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة﴾	٤٠ ـ ٤١	٢٧٣ ـ ٣٧٣
﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾	٢٨	٤١٠
٣٣ ـ سورة فاطر		
﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾	٢٢	١٧٠
﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا﴾	٤٥	٤٢٤
٣٤ ـ سورة يس		
﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً﴾	٢٠ ـ ٢١	٣٣ ـ ٣٤

الآيـــة	رقم	الصفحة
٣٥ - سورة الصافات		
﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾	١٨٠	١٢٧ - ٢٠٢
٣٦ - سورة ص		
﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾	١	٢٨
﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾	٥	١١٩
﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين﴾	٢٨	١٩٥
٣٧ - سورة الزمر		
﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾	١٦	٩٣
﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾	٢٣	١٦٧ - ١٧١ - ٢٧٨
﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾	٢٩	٣٧٦
﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾	٣٠	٤١٨
﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾	٥٣	٣٤٩
٣٨ - سورة غافر		
﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾	١٤	٢٠١
﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾	٥٥	١٠٣
﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾	٦٠	٢٢٠
٣٩ - سورة الشورى		
﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾	١١	١١٦-١٢٢-١٥٢-٢٠٢-٢٣١
﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾	٥١	٣٦٧
﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾	٥٢	٣٨ - ١٧٠ - ٤١٢
٤٠ - سورة الزخرف		
﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾	١١ - ١٤	١١٥

الآيـــة	رقم	الصفحة
﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم﴾	١٣ - ١٤	٦٦ - ١٩٩
﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾	٤٤	٢٧
﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾	٨٧	١١٦
٤١ - سورة الدخان		
﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾	٣٨ - ٣٩	١٤٧
٤٢ - سورة الجاثية		
﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم﴾	٢١	١٩٥
٤٣ - سورة الأحقاف		
﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾	١ - ٣	١٤٧
﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل﴾	٩	٣٩
٤٤ - سورة محمد		
﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا﴾	١٠	١٩٥
﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾	١٧	٤٠٠
﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾	١٩	١١٧ - ١١٨ - ١٦٦ - ١٦٧ - ٢٠١ - ٢٣١
﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾	٣٦	٢٣٧
٤٥ - سورة الفتح		
﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾	١٠	٣٤٩
٤٦ - سورة الذاريات		
﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾	٥٦	٥٥ - ١٤٥ - ١٥٥ - ٢٤١
٤٧ - سورة النجم		
﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾	٣ - ٤	١٩٠
٤٨ - سورة القمر		
﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾	١٧	٧٠

الآيـــــــة	رقـم	الصفحة
﴿أكفاركم خير من أولئكم﴾	٤٣	١٩٥
٤٩ ـ سورة الحديد		
﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾	٤	١٥٢
﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم﴾	١٦	١٧٣ ـ ٢٠٢ ـ ٢٧٩
٥٠ ـ سورة المجادلة		
﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾	٧	١٦٥
﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾	١١	٢٦٢
٥١ ـ سورة الحشر		
﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾	٧	٣٦ ـ ١٨٩ ـ ٢٢٣
٥٢ ـ سورة الصف		
﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾	١٣	٢٦٣
٥٣ ـ سورة الجمعة		
﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾	٩	٣٠ ـ ٥٩ ـ ٦١ ـ ١٥٠
﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾	١٠	١٠١ ـ ١٠٤ ـ ١٥٤ ـ ٢٤١
٥٤ ـ سورة التحريم		
﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾	٦	٩٢
٥٥ ـ سورة الملك		
﴿أفمن يمشي مكبًّا على وجهه أهدى﴾	٢٢	٢٦٢
٥٦ ـ سورة الحاقة		
﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾	٥٢	٢٠١
٥٧ ـ سورة الجن		
﴿وأنه كان رجال من الإنس﴾	٦	٢٧٣
﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾	٢٦ ـ ٢٧	٢٦٧

الآيـــــــة	رقـم	الصفحة
﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾	٢٨	٦٠
٥٨ ـ سورة المزمل		
﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم﴾	٢٠	٦٠ ـ ٨٦
٥٩ ـ سورة الإنسان		
﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً﴾	٢٥	١٠٢
٦٠ ـ سورة الأعلى		
﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾	١	٢٠١
٦١ ـ سورة الفجر		
﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك﴾	٢٧ ـ ٣٠	١٧٧
٦٢ ـ سورة العلق		
﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾	١ ـ ٥	٢٦٢
٦٣ ـ سورة البينة		
﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين﴾	٥	٩٠
٦٤ ـ سورة الزلزلة		
﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم﴾	٦	١٨٣
٦٥ ـ سورة الكافرون		
﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾	١ ـ ٢	١١١
٦٦ ـ سورة الإخلاص		
﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾	١ ـ ٤	١١٦ ـ ١٣١
٦٧ ـ سورة الفلق		
﴿قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق﴾	١ ـ ٥	١٣٣
٦٨ ـ سورة الناس		
﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس﴾	١ ـ ٦	١٣٣

فهرس الأحاديث الواردة في البحث

طرف الحديث	الصفحة
* أتدري ما حق الله على العباد	١٤٦
* أرأيت لو تمضمضت بماء وأنت صائم	١٩٦
* أرأيتكم ليلتكم هذه	٤٣١
* أعوذ بك منك لا أحصي ثناءً	٨٧
* أفضل الذكر لا إله إلا الله	٨٣
* ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه	١٩٠
* ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت	١٧٤
* إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله	٦٩
* إن الدعاء هو العبادة	٧٧
* إن الله لا ينظر إلى صوركم	١٠٢
* إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة	١٩٣
* أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم	٦٠
* إن لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحد	٥٩
* إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر	٣٩١
* أنا عند ظن عبدي بي	١٥٢
* أنا فرطكم على الحوض	٣٧٤
* إنما جعل الطواف بالبيت	٥٥
* إنها لتعدل ثلث القرآن	١٣٢
* إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً	٩٨

طرف الحديث	الصفحة
* أيها الناس أربعوا على أنفسكم	١٠٥
* باسمك أموت وأحيا	١٣٤
* باعد بيني وبين خطاياي	٧٦
* بينما موسى ﷺ في ملأ من بني إسرائيل	٤١٠ ـ ٤٢٦
* تركت فيكم ما لن تضلوا	٢٠ ـ ٢١
* تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله	٤٣١
* خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم	٢٨٩
* خير لكما من خادم	١٧٢
* ذهب أهل الدثور بالأجور	١٥٦
* سبحانك اللهم وبحمدك	٧٦
* سبق المفردون.. الذاكرون الله كثيراً	١٧٦
* سليني من مالي ما شئت	٣٣٩
* سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء	٩١
* عجل هذا	٧٨
* عليكم بسنتي وسنة الخلفاء	٤١
* فثار الحيان الأوس والخزرج	٢٦٦
* فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم	١٠٣
* كان إذا أوى إلى فراشه	١٣٣
* كان إذا قام من الليل يتهجد	١٣٥ ـ ١٣٦

طرف الحديث	الصفحة
* كل أمتي يدخلون الجنة	٣٧
* لا إله إلا الله العظيم الحليم	١٤٠
* لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك	٩٤
* لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم	٣٥١
* اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك	١٠١
* اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك	١٣٩
* اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت	١٣٨
* ليس شيء أكرم على الله من الدعاء	٧٧
* ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه	٧٠
* ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه	٦١
* ما عمل آدمي عملاً أنجى له من ذكر الله	١٧٥
* ما من قوم يقومون من مجلس	٦١
* مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه	١٧١
* من أحدث في أمرنا هذا	٣٧

طرف الحديث	الصفحة
* من أطاعني فقد أطاع الله	٣٧
* من رآني فقد رأى الحق	٤١٧
* من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونني	٤١٧
* من رآني في المنام فسيراني في اليقظة	٤١٦
* من رغب عن سنتي فليس مني	٢٩٠
* من سن في الإسلام سنة حسنة	٤٧
* من شغله القرآن وذكري أعطيته	٨٥
* من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه	٨٢
* من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له	٧٩ ـ ٢٣٤
* نعم حجي عنها أرأيت لو كان عليها دين	١٩٦
* وجهت وجهي إليك	٧٦
* ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه	١٧٦
* وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة	٤٦
* وفي بضع أحدكم صدقة	١٩٦
* يا رب علمني شيئاً أذكرك به	٨٢

فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم	الصفحة
* أبو الحسين النوري :	٤٠٦
* أبو تراب النخشبي :	٣١٣
* أبو حفص النيسابوري :	٣٠١
* أبو سليمان الداراني :	٤٠٦
* أبو شامة :	٤٣
* أحمد بن حنبل :	٤٥
* ابن أبي العز :	٢٣٠
* ابن أبي جمرة :	٤١٦
* ابن أدهم :	٣٠٠
* ابن الجزري :	٦٨
* ابن الجوزي :	٤٣
* ابن السني :	٦٨
* ابن العربي :	٥٦
* ابن المنادي :	٤٣٠
* ابن تيمية :	٤٥
* ابن حجر :	٨٠
* ابن رجب الحنبلي :	٢٤
* ابن عربي :	٣٤٥
* ابن عطاء السكندري :	٣٠٢
* ابن قيم :	٩٧
* ابن كثير :	١٣٠
* ابن مشيش :	٢٣٠
* البخاري :	٣٧

العلم	الصفحة
* البدوي :	٣٣٠
* البسطامي :	٢٤٧
* البوصيري :	٣٥٠
* البوني :	٢٧٦
* التجاني :	٣٣٨
* التستري :	٣٠٢
* الجنيد :	٢٤٨
* الجيلاني :	٣١٥
* الحربي :	٤٣٠
* الحلاج :	٣١١
* الرفاعي :	٣١٧
* السري السقطي :	٢٤٨
* سفيان الثوري :	٢٩٤
* السيوطي :	٤٤
* الشاذلي :	٣٢٣
* الشاطبي :	٢١٠
* الشافعي :	٤٣
* الشهرستاني :	٢٦٩
* الشوكاني :	٢٤٦
* شيخ (الأحمدية) الإدريسية :	٣٤٧
* صاحب إربل :	٣٥٩
* الطيبي :	١٤١
* عبد الرزاق بن همام :	٣٩٧

العلم	الصفحة
* عمر بن عبد العزيز :	٢٩٣
* الغزالي :	٢٦٧
* القاضي عياض :	٢٢٩
* الكتاني :	٤٢٠

العلم	الصفحة
* مالك بن أنس :	٢١
* الميرغني :	٤٢٣
* النقشبندي :	٣٢٦
* النووي :	٢٠٩

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **أقيسة النبي ﷺ**: ناصح الدين عبد الرحمن بن الحنبلي، تحقيق أحمد حسين جابر وعلي أحمد الخطيب، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.

٢ ـ **أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام الغزالي**: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، طبع دار القصر بالقاهرة، الطبعة السادسة ١٩٦٨م.

٣ ـ **الإبداع في مضار الابتداع**: علي محفوظ، الطبعة السابعة، دار النصر للطباعة الإسلامية.

٤ ـ **أبو الحسن الشاذلي**: عبد الحليم محمود، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة.

٥ ـ **الإحسان في تقريب صحيح بن حبان**: لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق وتعليق وتخريج شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٦ ـ **إحياء علوم الدين**: لأبي حامد محمد الغزالي، مكتب ومطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة، دون مزيد بيان عن الطبعة.

٧ ـ **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، طبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٦هـ.

٨ ـ **إعجاز القرآن**: لأبي بكر بن طيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧١م.

٩ ـ **الأعلام للزركلي**: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩م.

١٠ ـ **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**: لابن قيم الجوزية، حققه محمد سيد الكيلاني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

١١ ـ **أفضل الصلوات على سيد السادات**: جمع: يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الفكر، دون مزيد بيان عن الطبعة.

١٢ ـ **الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع**: جلال الدين السيوطي، تحقيق مشهور حسن سلمان، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، دار ابن القيم للنشر.

١٣ ـ **الأنوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية**: عبد الوهاب الشعراني، حققه عبد الباقي سرور ومحمد عبد الشافي، مكتبة المعارف، بيروت.

١٤ ـ **الإيمان والحياة**: يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة ط. ١٤٠١٧هـ.

١٥ ـ **الاعتصام**: أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، دار عمر بن الخطاب للنشر.

١٦ ـ **الاقتداء في الذكر والدعاء**: محمد جودة صوان، ط. ١٤٠٥٢هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**: ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر دار المعرفة، بيروت.

١٨ ـ **الباعث على إنكار البدع والحوادث**: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، الطبعة الثانية.

١٩ ـ **البداية والنهاية**: الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٧.

٢٠ ـ **البدع والنهي عنها**: محمد بن وضاح القرطبي، تحقيق محمد أحمد دهمان، الطبعة الثانية ١٩٨٠م، دار البصائر، دمشق.

٢١ ـ **البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها**: عزت علي عطية، دار الكتب الحديثة.

٢٢ ـ **البرهان المؤيد**: أحمد الرفاعي الكبير، تلقاه عنه عبد السميع الهاشمي والواسطي، خرج أحاديثه عبد الله الهرري الحبشي، حققه حسين ناظر الحلواني مطبوعات مكتبة الحلواني، دمشق.

٢٣ ـ **التأدب مع الرسول ﷺ في ضوء الكتاب والسنة**: حسن نور حسن دار المجتمع - جدة، ١٤١٢هـ.

٢٤ ـ **تاج الأولياء والأولياء**: علي زين العابدين، مكتبة دار الهلال، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٢٥ ـ **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**: لأبي الطيب صديق حسن بن علي الحسين البخاري القنوجي، المطبعة الهندية العربية، بمباي الهند، الطبعة الثانية ١٩٦٣م.

٢٦ ـ **تاريخ التصوف في الإسلام**: د. قاسم غني، ترجمه عن الفارسية صادق نشأة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧م.

٢٧ ـ **التبيان في آداب حملة القرآن**: شرف الدين أبي زكريا يحيى النووي، تحقيق بشير محمد عيون، ط. ١٤١٢١هـ، دمشق، دار البيان ومكتبة المؤيد.

٢٨ ـ **التجانية، دراسة لأهم عقائد التجانية في ضوء الكتاب والسنة:** علي بن محمد الدخيل الله، نشر وتوزيع دار طيبة، الرياض.
٢٩ ـ **تحفة الذاكرين:** محمد بن علي محمد الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٠ ـ **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار:** (رحلة بن بطوطة) دار الشرق العربي، دون مزيد بيان.
٣١ ـ **التدمرية:** لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد عودة السعوي، طبع شركة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٣٢ ـ **التذكار في أفضل الأذكار:** أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، علق عليه أحمد الصديق الغماري، الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ.
٣٣ ـ **التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه:** أحمد توفيق عباد، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠م.
٣٤ ـ **التصوف بين الحق والخلق:** محمد فهر شقفة، الدار السلفية، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.
٣٥ ـ **التصوف في تهامة:** محمد أحمد العقيلي، الطبعة الثانية دار البلاد للطباعة، جدة.
٣٦ ـ **التصوف في مصر إبان العصر العثماني:** توفيق الطويل، مكتبة الآداب ومطبعة الاعتماد، دون مزيد بيان.
٣٧ ـ **التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام:** عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٣٨ ـ **التعريفات:** الفاضل علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت ١٩٦٨م.
٣٩ ـ **تفسير ابن كثير:** لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، المكتبة التجارية، دار الفكر ١٤٠٧هـ، بيروت.
٤٠ ـ **التفسير الكبير:** الرازي، دار الكتب العلمية، طهران.
٤١ ـ **تفسير ابن باديس:** جمع وترتيب محمد صالح رمضان وتوفيق محمد شاهين، الطبعة الثانية، دار الفكر.
٤٢ ـ **تلبيس إبليس:** جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، الطبعة السابعة ١٤١٤هـ.
٤٣ ـ **تهذيب التهذيب:** أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٤٤ ـ **تهذيب اللغة:** لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري.
٤٥ ـ **تيسير العزيز الحميد:** سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، نسخة دار الباز دون مزيد بيان.
٤٦ ـ **الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية:** عابد السفياني، مكتبة المنار، مكة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٤٧ ـ **الجامع الأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد إبراهيم الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، طبع بالأوبست، بيروت.
٤٨ ـ **جامع الأصول:** أحمد الكشمخانوي النقشبندي، المطبعة الميمنية مصطفى البابي الحلبي، بمصر، دون مزيد بيان.
٤٩ ـ **جامع العلوم والحكم:** أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، توزيع دار الباز بمكة.
٥٠ ـ **الجانب العاطفي من الإسلام:** بحث في الخلق والسلوك والتصوف، للشيخ محمد الغزالي، مطبعة السعادة بمصر، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية ١٩٦٢م.
٥١ ـ **جمهرة اللغة:** لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، الطبعة الأولى ١٣٤٥هـ، مطبعة المعارف العثمانية.
٥٢ ـ **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض التجاني:** علي حرازم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة بالثانية ١٣٩٣هـ.
٥٣ ـ **حاشية البناني:** جمع الجوامع شرح الجلال المحلي، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٥٤ ـ **الحاوي للفتاوي:** جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، الطبعة الثالثة، ذي الحجة ١٣٧٨هـ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٩م.
٥٥ ـ **الحضارة الإسلامية:** آدم ميتر، نقله إلى العربية، محمد الهادي أبو ريدة، الطبعة الرابعة ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت.
٥٦ ـ **حكم الاحتفال بالمولد النبوي:** عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ضمن مجموع الرسائل في حكم الاحتفال بالمولد، الرئاسة العامة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٥٧ ـ **حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار:** المعروف (بالأذكار النووية) لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق وتعليق، علي الشربجي وقاسم النوري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥٨ ـ **الحوادث والبدع:** لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشير محمد عيون، ط. ١٤١٢هـ، مكتبة المؤيد ومكتبة دار البيان.

٥٩ ـ **الحياة الروحية في الإسلام**: محمد مصطفى حلمي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

٦٠ ـ **حياة القلوب بدعاء علام الغيوب**: لأبي السمح محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين، الطبعة الثالثة.

٦١ ـ **خطط المقريزي**: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، طبعة بولاق ١٢٧٠هـ تصدره دار التحرير للطبع والنشر.

٦٢ ـ **دائرة المعارف الإسلامية**: أصدرها أئمة الاستشراق، ترجمها إبراهيم خورشيد وأحمد الشنتناوي وعبد الحميد يونس، الشعب المصرية.

٦٣ ـ **دراسات إسلامية في الفرق**: صابر طعيمة، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٣هـ.

٦٤ ـ **الدين الخالص**: محمد صديق حسن خان، مطبعة المدني بمصر.

٦٥ ـ **ذم ما عليه مدّعو التصوف (فتوى)**: لأبي محمد موفق بن قدامة، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

٦٦ ـ **الرسالة القشيرية**: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة بمصر.

٦٧ ـ **رسالة في السماع والرقص**: محمد بن المنجي، تعليق محمد صبحي حلاق، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٦٨ ـ **رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم**: عمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدري، الكتاب مطبوع بهامش جواهر المعاني، طبعة دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٦٩ ـ **روح الصلاة في الإسلام**: عفيف طبارة، دار العلم للملايين ط. ١٦.

٧٠ ـ **روح المعاني**: تفسير القرآن والسبع المثاني، محمود الألوسي، طبع دار الفكر بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ.

٧١ ـ **الروضة الندية شرح الدرر البهية**: صديق حسن الحسين القنوجي تخريج وتحشية أحمد شمس الدين، ط١ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٧٢ ـ **رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة**: يوسف بن إسماعيل النبهاني، الطبعة الأخيرة ١٩٥٣م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

٧٣ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة**: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان.

٧٤ ـ **السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام**: د. محمد لقمان، مطبعة الإيمان بالمدينة المنورة ١٤٠٩هـ.

٧٥ ـ **سنن أبي داود**: الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار إحياء التراث العربي.

٧٦ ـ **سنن ابن ماجه**: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق وترقيم فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٧٧ ـ **سنن الترمذي**: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي، طبعة دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٧٨ ـ **سنن الدارمي**: الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، تحقيق وتخريج، فؤاد أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث القاهرة، ودار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٧٩ ـ **السنن الكبرى للنسائي**: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البندراوي، وسيد كردي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ.

٨٠ ـ **شأن الدعاء**: لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، دار المأمون للتراث.

٨١ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**: لابن أبي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي.

٨٢ ـ **شرح النووي على مسلم**: الحافظ يحيى بن شرف الدين النووي، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٨٣ ـ **شرح جوهرة التوحيد**: إبراهيم محمد البيجوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٨٤ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**: للقاضي عياض، دار الفكر للطباعة والنشر الطبعة الأخيرة، ١٤٠٥هـ.

٨٥ ـ **شمس المعارف الكبرى ولطائف المعارف**: للبوني، المكتبة الشعبية بيروت ١٩٧٠م ولا يوجد مزيد بيان عن الطبعة.

٨٦ ـ **الشيخ عبد القادر الجيلاني**: الإمام الزاهد، عبد الرزاق الكيلاني، دار القلم، دمشق ١٤١٤هـ.

٨٧ ـ **الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراءه الاعتقادية والصوفية**: سعيد بن مسفر القحطاني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٨٨ ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف المنشر.

٨٩ ـ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق عبد الغفور عطار، الطبعة الأولى دار العلم للملايين.

٩٠ ـ **صحيح البخاري مع الفتح**: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مطبعة الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٩١ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**: محمد ناصر الدين الألباني، مطبعة المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

٩٢ ـ **صحيح سنن أبي داود**: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى.

٩٣ ـ **صحيح سنن ابن ماجه**: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٩٤ ـ **صحيح سنن الترمذي**: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى.

٩٥ ـ **صحيح سنن النسائي باختصار السندي**: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مطبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٩٦ ـ **صحيح مسلم مع شرح النووي**: مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٧ ـ **الصحيفة العلوية** ـ منسوبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ـ: المؤلف عبد الله بن صالح السماهيجي، دار التعاريف للمطبوعات، الطبعة الثالثة.

٩٨ ـ **صفة الصفوة**: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، الطبعة الثالثة ١٩٧٢م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن ـ الهند.

٩٩ ـ **الصوفية معتقداً ومسلكاً**: صابر طعيمة، ط١ توزيع دار عالم الكتب، الرياض.

١٠٠ ـ **الصوفية نشأتها وتطورها**: محمد العبدة وطارق عبد الحليم، دار ابن القيم، برمنجهام ـ بريطانيا، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.

١٠١ ـ **العبادة في الإسلام**: يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة.

١٠٢ ـ **عقيدة التوحيد في القرآن**: محمد أحمد ملكاوي، الطبعة الرابعة، دار ابن تيمية، الرياض ١٤٠٥هـ.

١٠٣ ـ **عقيدة المؤمن**: أبو بكر الجزائري، دار الفكر، دون مزيد بيان عن الطبعة.

١٠٤ ـ **العقيدة في الله**: عمر بن سليمان الأشقر، ط٤، ١٩٨٣م، مكتبة الفلاح، الكويت.

١٠٥ ـ **العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة**: لأبي الحسن الندوي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، دار القلم، الكويت.

١٠٦ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ابن حجر العسقلاني، دار الريان القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٠٧ ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: محمد بن علي محمد الشوكاني، ترتيب وتعليق سعيد محمد اللحام، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة.

١٠٨ ـ **الفتوحات الربانية**: لمحمد بن علان الصديقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

١٠٩ ـ **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**: لشيخ الإسلام ابن تيمية دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تفاصل أخرى عن الطبعة.

١١٠ ـ **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**: محمد بن الحسن الحجوي الفاسي، المركز الإسلامي للطباعة والنشر، الأهرام.

١١١ ـ **الفكر الصوفي**: عبد الرحمن عبد الخالق، مكتبة ابن تيمية، الكويت.

١١٢ ـ **فن الذاكرين والدعاء عند خاتم الأنبياء**: الشيخ محمد الغزالي، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٠٥هـ، دار القلم.

١١٣ ـ **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**: شيخ الإسلام ابن تيمية، دار العربية للنشر، بيروت ١٩٧٠م.

١١٤ ـ **قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**: الحسين بن محمد الدامغاني، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، تحقيق عبد العزيز سيد هلال.

١١٥ ـ **القاموس المحيط**: الفيروزآبادي محمد بن يعقوب، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١١٦ ـ **قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر**: لمحمد أبي الهدى الرفاعي طبع في بيروت، المطبعة الأدبية ١٣٠٠هـ.

١١٧ ـ **كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**: لأبي البقاء أيوب بن موسى بن الحسين الكفوري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١١٨ ـ **كتاب فيه ما جاء في البدع**: محمد بن وضاح القرطبي، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، دار العصيمي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١١٩ ـ **كتاب معنى لا إله إلا الله**: للزركشي، تحقيق علي محيي الدين قره داغي، دار النصر للطباعة شبرا، مصر.

١٢٠ ـ **كشاف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: مصطفى عبد الله القسطنطني المعروف بحاجي خليفة، دار الفكر ١٩٨٢م.

١٢١ ـ **كشاف مصطلحات الفنون**: محمد على الفاروقي التهانوي، تحقيق لطف عبد الواسع، المؤسسة المصرية العامة، دار الكتاب العربي.

١٢٢ ـ كشف القناع عن أحكام الوجد والسماع: أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق وتقديم عبد الله بن محمد الطريقي، الطبعة الأولى، الرياض ١٤١١هـ.

١٢٣ ـ الكشف والتبيين ملحق مع منهاج العابدين: لأبي حامد الغزالي، راجعه وعلق عليه محمود محمد جابر، الطبعة الأولى ١٩٥٤م، مكتبة الجندي.

١٢٤ ـ كنز النجاح والسرور في الأدعية المأثورة التي تشرح الصدور: عبد الحميد قدس (كتب صغير) طبع إحساني.

١٢٥ ـ الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: عبد العزيز المحمد السلمان، طبعة خيرية الطبعة التاسعة عشرة ١٤١٨هـ.

١٢٦ ـ لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، دار صادر، بيروت ـ لبنان.

١٢٧ ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف: ابن رجب الحنبلي، تحقيق عبد المنعم إبراهيم، مكتبة مصطفى الباز، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٢٨ ـ لمحات في المكتبة والبحث والمصادر: د. محمد عجاج الخطيب: ط٣ ١٩٧١م.

١٢٩ ـ اللمع: لأبي النصر السراج الطوسي، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٠م.

١٣٠ ـ لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات: فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، راجعه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٦م.

١٣١ ـ ليس من الإسلام: محمد الغزالي، الطبعة الرابعة ١٩٦٣م، دار الكتب الحديثة.

١٣٢ ـ مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ط٢١، مؤسسة الرسالة بيروت.

١٣٣ ـ مجلة التوعية الإسلامية: العدد ٢٠٩، البدعة حقيقتها ومعناها د. صالح السدلان.

١٣٤ ـ مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد ابن قاسم وابنه محمد، طباعة جمع الملك فهد للطباعة الصحف بالمدينة المنورة تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية.

١٣٥ ـ مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، مكتبة دار الهلال، بيروت.

١٣٦ ـ مختصر سيرة الرسول ﷺ: لمحمد بن عبد الوهاب، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية ١٤١٨هـ.

١٣٧ ـ مدارج السالكين: ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ.

١٣٨ ـ المدخل: لابن الحاج، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣٩ ـ مدخل إلى التصوف الإسلامي: أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، دار الثقافة للنشر القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

١٤٠ ـ المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

١٤١ ـ مسك الختام في الذكر والدعاء بعد السلام: أحمد بن سعيد بن خميس الأنبالي دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٤٢ ـ مسند الإمام أحمد: وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: للتقي الهندي، طبعة الرابعة ١٩٨٣م.

١٤٣ ـ مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني: محمد الخضر بن سيد عبد الله الشنقيطي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

١٤٤ ـ مشكاة المصابيح الكاشف في حقائق السنن: الحسين بن أحمد، تحقيق مجموعة من أهل العلم، نشر دار القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي، الطبعة الأولى ١٤١٣.

١٤٥ ـ المصادر العامة للتلقي عند الصوفية: صادق سليم صادق، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٤٦ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم: إصدار مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية ١٩٧٠م، المطبعة الثقافية الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف.

١٤٧ ـ معجم المناهي اللفظية: بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ، دار العاصمية، الرياض.

١٤٨ ـ المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم: صبحي عبد الرؤوف، مصر، دار الفيصلية.

١٤٩ ـ معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعة جي، حامد صادق قنبي، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٥٠ ـ معجم مقاييس اللغة: لأبي حسين أحمد بن فارس بن زكريا، طبعة دار الكتب العلمية، إيران.

١٥١ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة: أحمد مصطفى طاش كبري زاده، تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، مطبعة الاستقلال الكبرى.

٢٥٢ ـ **المفردات في غريب القرآن**: لابن القاسم السين محمد بن الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٢٥٣ ـ **مقدمة ابن خلدون**: عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر، دون مزيد بيان.

٢٥٤ ـ **مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب**: للشيخ أبي حامد الغزالي.

٢٥٥ ـ **ملحق مع التعريفات**: للشريف الجرجاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م.

٢٥٦ ـ **الملل والنحل**: لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز الوكيل، طبعة دار الفكر، بيروت، دون مزيد بيان.

٢٥٧ ـ **المنقذ من الضلال**: لأبي حامد الغزالي، دار الكتب الحديثة، طبع دار القصر بالقاهرة، الطبعة السادسة.

٢٥٨ ـ **موارد الظمآن في دروس الزمان**: عبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة التاسعة عشرة مطابع الخالد، الرياض ١٤١٠هـ.

٢٥٩ ـ **الموافقات في أصول الشريعة**: أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مطبعة المدني، دون مزيد بيان.

٢٦٠ ـ **المورد في حكم المولد**: لأبي حفص تاج الدين الفاكهاني، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد، مطبوع ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢٦١ ـ **الموسوعة الفقهية**: وزارة الشؤون الإسلامية بالكويت، ط٢ ١٤١٢هـ.

٢٦٢ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**: نشر دار الندوة للعالمية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

٢٦٣ ـ **موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين**: محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق عاصم البيطار، دار النفائس، الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

٢٦٤ ـ **نزل الأبرار**: محمد صديق حسن خان، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية.

٢٦٥ ـ **نشأة التصوف الإسلامي إبراهيم بسيوني**، دار المعارف بمصر.

٢٦٦ ـ **نظام الإسلام والعقيدة والعبادة**: محمد المبارك، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

٢٦٧ ـ **نظرية الاتصال عند الصوفية**: شاكرة بنت جلوي، دار المنارة، جدة ١٤١١هـ.

٢٦٨ ـ **النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية**: محمد بهاء الدين البيطار، دار الجيل، دون مزيد بيان.

٢٦٩ ـ **النهاية في غريب الحديث**: لأبن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الرازي ومحمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

٢٧٠ ـ **نور التحقيق في صحة أعمال الطريق**: حامد إبراهيم الشاذلي، مطبعة دار التأليف بالمالية المصرية، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.

٢٧١ ـ **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**: شمس الدين محمد بن قيم الجوزية تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، توزيع مكتبة المؤيد.

٢٧٢ ـ **وظائف الأبرار**: فرمان علي، الناشر كتب خانة اثنا عشري، لاهور ـ باكستان.

٢٧٣ ـ **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، دون مزيد بيان.

٢٧٤ ـ **ولاية الله والطريق إليها**: للشوكاني، دراسة وتحقيق وإبراهيم بن إبراهيم هلال مطبعة المدني، توزيع دار الكتب الحديثة، دون مزيد بيان.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

* المقدمة ١١
التمهيد وفيه مبحثان ١٧
المبحث الأول: كمال الدين الإسلامي وشمولية الذكر الشرعي ١٩
المطلب الأول: كمال الدين الإسلامي وتمام البلاغ به ١٩
المطلب الثاني: شمولية الذكر الشرعي ٢٤
المبحث الثاني: التعريف بمفردات البحث، وفيه ثلاثة مطالب ٢٧
المطلب الأول: تعريف الذكر لغة واصطلاحاً ٢٧
المطلب الثاني: تعريف الاتباع لغة واصطلاحاً ٣٢
المطلب الثالث: تعريف الابتداع لغة واصطلاحاً، والخلاف في البدعة ٣٩

❖ الباب الأول ❖

الذكر الشرعي وآثاره وفيه أربعة فصول

الفصل الأول: مفهوم الذكر الشرعي، وفيه تمهيد ومبحثان ٥٣
المبحث الأول: سعة المفهوم الشرعي للذكر ٥٤
المبحث الثاني: كيف يكون الذكر شرعياً، وفيه تمهيد وثمانية مطالب ٦٤
التمهيد ٦٤
المطلب الأول: الأذكار المأثورة وضوابطها ٦٦
المطلب الثاني: الأذكار المطلقة وتفاضلها ٦٩
المطلب الثالث: تلاوة القرآن وآدابها ٧٢
المطلب الرابع: ما كان ثناء على الله من غير القرآن ٧٥
المطلب الخامس: العلاقة بين الذكر المحض وبين الدعاء وأيهما أفضل ٧٧
المطلب السادس: ما ينشئه العبد من ذكر مطلق وضوابطه ٨٦
المطلب السابع: الأذكار المقيدة والتفاضل بينها وبين المطلق ٩٧
المطلب الثامن: آداب الذكر الشرعي ١٠٠

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني: تحقيق الذكر الشرعي للتوحيد، وفيه مبحثان ١٠٧
المبحث الأول: تعريف التوحيد وأقسامه ١٠٩
المطلب الأول: تعريف التوحيد لغة وشرعاً ١٠٩
المطلب الثاني: أنواع التوحيد وأقسامه ١١١
المبحث الثاني: تحقيق الأذكار الشرعية للتوحيد ١١٣
المطلب الأول: تحقيق الأذكار المطلقة للتوحيد ١١٣
المطلب الثاني: تحقيق الأذكار المقيدة للتوحيد ١٢٩
الفصل الثالث: آثار الذكر الشرعي، وفيه ثلاثة مباحث ١٤٣
المبحث الأول: أثر الذكر الشرعي في حق الله ﷻ ١٤٥
المطلب الأول: التعريف بحق الله ﷻ ١٤٥
المطلب الثاني: أثر الذكر في تحقيق التوحيد ١٤٨
المطلب الثالث: أثر الذكر في العبادة ١٤٩
المبحث الثاني: أثر الذكر الشرعي على الأمة ١٥٩
المطلب الأول: آثار الذكر الشرعي على المجتمع المسلم ١٥٩
المطلب الثاني: آثار الذكر الشرعي على أفراد الأمة ١٦٤
المطلب الثالث: أثار الذكر الشرعي في المعاش والمعاد ١٦٩
المبحث الثالث: أثر الذكر الشرعي على الرسالة ١٧٨
الفصل الرابع: مصادر الذكر الشرعي دراسة تقيمية، وفيه مبحثان ١٨١
المبحث الأول: تعريف المصدر وذكر المصادر الشرعية ١٨٣
المطلب الأول: تعريف المصدر لغة واصطلاحاً ١٨٣
المطلب الثاني: مصادر الشريعة الإسلامية ١٨٥
المبحث الثاني: وقفة مع هذه المصادر من جهة مصدريتها للذكر ١٩٨
المطلب الأول: وقفة تقييمية مع المصدرين الرئيسيين ١٩٨
المطلب الثاني: وقفة تقييمية مع الإجماع والقياس ٢٠٩

❖ الباب الثاني ❖

الذكر البدعي وآثاره، وفيه خمسة فصول

الفصل الأول: مفهوم الذكر البدعي، وفيه مبحثان ٢١٩
المبحث الأول: كيف يكون الذكر بدعياً وفيه أربعة مطالب ٢٢٠
المطلب الأول: الذكر عبادة ٢٢٠

الموضوع | الصفحة

المطلب الثاني: العبادة توقيفية ٢٢٢
المطلب الثالث: مراتب البدعة وأحكامها ٢٢٦
المطلب الرابع: الأذكار المبتدعة ٢٢٨
المبحث الثاني: مفهوم الذكر عند المبتدعة، وفيه ثمانية مطالب ٢٣٨
المطلب الأول: مكانة الذكر عندهم وفهمهم له ٢٤٠
المطلب الثاني: إخراجهم مجالس العلم عن الذكر ٢٤٦
المطلب الثالث: حاصل الذكر وفوائده عندهم ٢٤٩
المطلب الرابع: الغاية القصوى من ذكرهم حصول الفناء ٢٥٢
المطلب الخامس: الكشف والتأثير والكرامات ٢٥٨
المطلب السادس: خطأهم في الوسيلة والمطلوب ٢٦٢
المطلب السابع: إشكالات وأسئلة ٢٦٥
المطلب الثامن: من آداب الذكر عند المبتدعة ٢٨١
الفصل الثاني: نشأة الذكر البدعي وتطوره وفيه مبحثان ٢٨٧
المبحث الأول: الخلو، والنشوء، والاختفاء، وفيه توطئة ومطلبان، التوطئة عن فترة الخلو ٢٨٩
المطلب الأول: المرحلة الأولى، النشوء، المائة الثانية إلى نهاية الثالثة . ٢٩٦
المطلب الثاني: المرحلة الثانية من ٣٠٠هـ إلى ٥٠٠هـ جمود واختفاء ... ٣٠٥
المبحث الثاني: مرحلتي التطور والتتابع، وفيه مطلبان ٣١١
المطلب الأول: المرحلة الثالثة، من ٥٠٠هـ إلى ٨٠٠هـ مرحلة تطور الأذكار المبتدعة والظهور المنظم للطرق... .... ٣١١
المطلب الثاني: المرحلة الرابعة من ٨٠٠هـ إلى القرون المتأخرة مرحلة التقليد والتفريع ٣٣٥
الفصل الثالث: نماذج من الأذكار المبتدعة مع النقد، وفيه ثلاثة مباحث ٣٤٣
المبحث الأول: نماذج من أذكار الصوفية مع النقد ٣٤٥
المبحث الثاني: نماذج من أذكار الرافضة مع النقد ٣٥٢
المبحث الثالث: نموذج مما عند غيرهم مع النقد، وفيه ثلاثة مطالب ٣٥٧
المطلب الأول: الاحتفال بالمولد النبوي، تمهيد وتأريخ ظهور ٣٥٧
المطلب الثاني: وقفة مع من يرى عمل المولد ٣٦٠
المطلب الثالث: الوقفة الأخيرة حكم الاحتفال بالمولد ٣٦٢

الموضوع | الصفحة

الفصل الرابع: آثار الذكر البدعي، وفيه ثلاثة مباحث ٣٦٥
المبحث الأول: أثر الذكر البدعي في حق الله ﷻ، وفيه مطلبان ٣٦٧
المطلب الأول: أثر الذكر البدعي في حق الله من التوحيد العلمي الخبري ٣٦٧
المطلب الثاني: مناقضة الذكر البدعي لتوحيد الله بالعبادة ٣٧٠
المبحث الثاني: أثر الذكر البدعي في حق الرسول والرسالة وفيه مطلبان ... ٣٧٢
المطلب الأول: أثر الذكر البدعي في حق الرسول ٣٧٢
المطلب الثاني: أثر الذكر البدعي في حق الرسالة ٣٧٥
المبحث الثالث: أثر الذكر البدعي على الأمة، وفيه ثلاثة مطالب ٣٧٧
المطلب الأول: أثر الذكر البدعي من جهة كونه مبتدعاً ٣٧٧
المطلب الثاني: أثر الذكر البدعي، من حيث الهيئة والصورة والشروط .. ٣٧٨
المطلب الثالث: أثر الذكر البدعي، من جهة مضامينه ٣٨٠
الفصل الخامس: مصادر الذكر البدعي، دراسة تقويم ونقد، وفيه تمهيد وخمسة مباحث ٣٨٣
التمهيد ٣٨٥
المبحث الأول: الكشف تعريفه وأبرز موضوعاته، وفيه ثلاثة مطالب ٣٨٨
المطلب الأول: تعريف الكشف وبعض موضوعاته ٣٨٨
المطلب الثاني: الإلهام ٣٩٢
المطلب الثالث: الهواتف ٣٩٤
المبحث الثاني: التلقي عن الله سبحانه من غير واسطة النبي ﷺ، وفيه مطلبان ٣٩٥
المطلب الأول: مفهوم بعض المتصوفة للتلقي عن الله سبحانه ٣٩٥
المطلب الثاني: نماذج من الأذكار المتلقاة عن الله في زعمهم ٣٩٨
المبحث الثالث: وقفة تقويمية مع مصدر الكشف، وفيه خمسة مطالب ٤٠٠
المطلب الأول: أصل الإلهام الذي لا ينكر ٤٠٠
المطلب الثاني: أنوع ما يلقيه الله إلى البشر وما يمكن وقوعه لغير الأنبياء من ذلك ٤٠٢
المطلب الثالث: ما يلقى إلى غير الأنبياء هل يكون دليلاً مستقلاً ٤٠٤
المطلب الرابع: المانع من عدم الاعتماد على إلهام غير الأنبياء ٤٠٧
المطلب الخامس: الموقف ممن يرى الاستغناء بإلهام غير الأنبياء عن دليل الشرع ٤٠٩

الموضوع	الصفحة
المبحث الرابع: التلقي عن النبي ﷺ عن طريق الكشف، وفيه تمهيد وأربعة مطالب	٤١٢
التمهيد: حول مفهوم التلقي عن النبي ﷺ	٤١٢
المطلب الأول: رؤية النبي ﷺ يقظة عند بعض الصوفية	٤١٤
المطلب الثاني: مناقشة استدلالهم	٤١٧
المطلب الثالث: نماذج مما زعموا تلقيهم عنه ﷺ من الأذكار	٤٢٠
المطلب الرابع: قصدهم من استحداث أسطورة الكشف وزعم التلقي	٤٢٢
المبحث الخامس: التلقي عن غير الله ونبيه بالكشف، وفيه تمهيد وخمسة مطالب	٤٢٥
التمهيد: سعة التلقي الكشفي	٤٢٥
المطلب الأول: الخضر اسمه ومولده ونسبه	٤٢٦
المطلب الثاني: الخضر نبي هو أو ولي؟	٤٢٧
المطلب الثالث: الخضر حي هو أو ميت؟	٤٢٩
المطلب الرابع: نماذج من الأذكار المتلقاة عن الخضر في زعمهم	٤٣٣
المطلب الخامس: ما يعنيه الخضر عند القوم	٤٣٤
الخاتمة: وفيها أهم النتائج	٤٣٦
*** الفهارس العامة**	٤٣٩
- فهرس الآيات الكريمة	٤٤٠
- فهرس الأحاديث الواردة في البحث	٤٥٢
- فهرس الأعلام الواردة في البحث	٤٥٤
- فهرس المصادر والمراجع	٤٥٦
- فهرس الموضوعات	٤٦٨